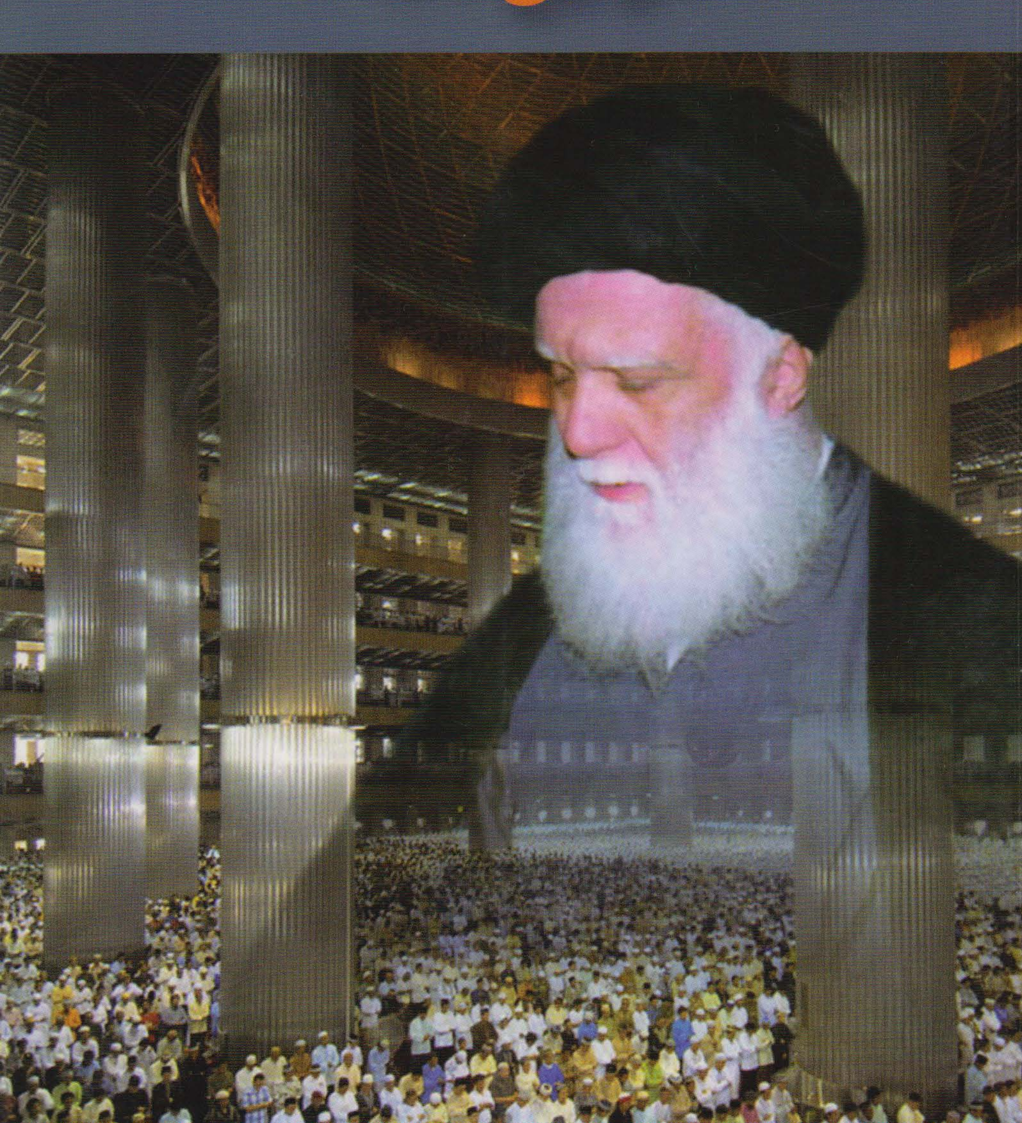
د. صلاح عبد الرزّاق

الشهيد الصدر الثاني
مرجع أمّة




مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق
في الكفة الأخرى لرجح إيمانه.
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com

الشهيد الصدر الثاني

مرجع أمة

الدكتـور صلاح عبد الرزاق

الشهيد الصدر الثانـي

مرجـع أمـة



منتدى المعارف
alMaaref Forum

الفهرسة أثناء النشر ـ إعداد منتدى المعارف

عبد الرزاق، صلاح
الشهيد الصدر الثاني: مرجع أمة/ صلاح عبد الرزاق.
١٣٥ ص.
ببليوغرافية: ص ١٣١ ـ ١٣٥.
١. الصدر، محمد محمد صادق ـ تراجم. ٢. العراق ـ تاريخ. أ. العنوان.

297.8209567

الطبعة الأولى عن المنتدى، بيروت، ٢٠١٠

البريد الإلكتروني للمؤلف: slahrazaq@yahoo.com

منتدى المعارف

بناية «طبارة» ـ شارع نجيب العرداتي ـ المنارة ـ رأس بيروت
ص.ب: ٥٢٨٥ ـ ١١٣ حمرا ـ بيروت ٢٠٣٠ ١١٠٣ ـ لبنان
هاتف: ٧٣٩٨٧٧ (١-٩٦١)
فاكس: ٧٣٩٨٧٨ (١-٩٦١)

المحتويـــــات

مقدمــة

تعتبر مرجعية السيد الشهيد محمد صادق الصدر من المرجعيات الشيعية الرائدة في التصدي للحكومات الظالمة. إذ حمل لواء الرفض والتحدي لأعتى نظام عرفته البشرية، فقدم نفسه وولديه فداء للعقيدة والحرية وانعتاق الشعب العراقي من الكابوس الذي كان يجثم على صدر العراق الحبيب.

وكانت حادثة اغتياله هزة قوية في ضمير الأمة ووجدان العراقيين الذين ذهلوا من هول الصدمة. لقد كان الصدر الثاني مستعداً لشرف الشهادة تأسياً بجده علي بن أبي طالب (عليه السلام)، إذ كان يخطب في مسجده ومن منبره عليه السلام: في مسجد الكوفة.

لقد فقدت المرجعية الدينية الكثير من الشهداء من المراجع والفقهاء والخطباء والعلماء. كما تعرّض كثير منهم للاعتقال والسجن والتعذيب والإقامة الجبرية، إضافة إلى ألوان القمع والإرهاب والملاحقة التي مارستها الأنظمة القمعية والحكومات الظالمة.

وهذه مجموعة من الدراسات والمقالات كنت قد كتبتها حول السيد الشهيد محمد الصدر عندما كنت مقيماً في الغرب، ونشرت في كتب ومجلات وصحف المهجر. وهي تمثل مرحلة معينة وساحة محددة عاشها العراقيون المقيمون في الغرب، وخاصة المعارضة العراقية آنذاك. وتعكس مدى اهتمامنا والتزامنا بمرجعية الصدر الثاني، سواء

قبل استشهاده أو بعد اغتياله. لقد دافعنا عن مرجعيته باعتبارها كانت تمثل خط المواجهة الساخن مع النظام، ونهجاً جديداً لمرجع اختط لنفسه طريقاً آخر يختلف مع التيار التقليدي للمرجعية الدينية.

في الفصل الأول تناولت سيرة الشهيد وتتلمذه على يد أستاذه الشهيد السيد محمد باقر الصدر ونتاجه الفكري.

وفي الفصل الثاني قمت بتحليل منهج الصدر الثاني في علاقته بالجماهير الشعبية وبالشرائح الاجتماعية المختلفة في العراق، وتأثير ذلك على بناء الشخصية العراقية في تلك المرحلة.

وفي الفصل الثالث أوجزت لاحتضان فكر السيد محمد الصدر لمجمل أهداف ومبادئ الثورة الحسينية.

وفي الفصل الرابع سلطت الضوء على حادثة اغتيال الشهيد الصدر وملابساتها وآثارها في المجتمع العراقي ودور النظام في اغتياله.

وفي الفصل الخامس تناولت ردود أفعال العراقيين المقيمين في هولندا كنموذج على مدى تمسك عراقيي المهجر بالمرجعية الدينية ومدى اهتمامهم بقضايا الوطن وهمومه وآلامه. كما عرضت لمجمل النشاطات التي كان لنا دور هام فيها سواء في الاحتجاجات أو المظاهرات أو الندوات أو الكتابات عن السيد الشهيد الصدر. وكذلك عن الخطابات التي وجهناها إلى المنظمات الدولية والتصريحات التي أدلينا بها لوسائل الإعلام الغربية من أجل إيصال صوت شعبنا العراقي إلى المحافل الدولية ومن أجل إيصال ظلامة الشهيد الصدر إلى أسماع العالم. وكلها تعود إلى فترة ما قبل سقوط النظام في ٩ نيسان/ أبريل ٢٠٠٣.

د. صلاح عبد الرزاق
بغداد، آب/ أغسطس ٢٠٠٥

الفصل الأول

سيرة ذاتية للشهيد السيد محمد الصدر(*)

(*) **نشرة النخيل**، العدد ٣٩ (آذار/ مارس ١٩٩٩).

أولاً: ولادته

ولد السيد محمد ابن السيد محمد صادق الصدر في ربيع الأول ١٣٦٢هـ الموافق ٢٣ آذار/ مارس ١٩٤٣م في يوم عيد المولد النبوي الشريف. ووالده هو ابن عم الشهيد السيد محمد باقر الصدر (قدست روحه). وجده لأمه هو آية الله العظمى الشيخ محمد رضا آل ياسين الذي تزامنت فترة مرجعيته مع مرجعية السيد أبي الحسن الأصفهاني، ثم أصبح المرجع الأعلى بعده.

ثانياً: دراساته

أول من تكفل تربيته هو والده السيد محمد صادق الصدر، حيث كان السيد محمد وحيد والديه، فتربى تربية دينية من صغره. فقد بدأ الدراسة في الحوزة العلمية ولبس العمامة وعمره أحد عشر عاماً. وفي عام ١٩٦٠ دخل كلية الفقه في النجف الأشرف حيث درس على أيدي فضلاء الحوزة كالشيخ محمد رضا المظفر والسيد محمد تقي الحكيم والشيخ محمد تقي الإيرواني. ودرس إلى جانب ذلك دراسات غير حوزوية كاللغة الإنكليزية وعلم الاجتماع وعلم النفس والتاريخ على أيدي مختصين بها. وكان الشهيد يجيد اللغة الإنكليزية.

تخرج من كلية الفقه عام ١٩٦٤ ثم دخل مرحلة السطوح العليا في الدراسة الحوزوية فدرس كتاب **الكفاية** للملا كاظم الخراساني على يد الشهيد السيد محمد باقر الصدر. ودرس كتاب

المكاسب للشيخ مرتضى الأنصاري على يد السيد محمد تقي الحكيم.

ارتقى الشهيد محمد الصدر إلى مستوى البحث الخارج فحضر بحث الأصول عند السيد محمد باقر الصدر. كما حضر بحث الخارج عند السيد أبي القاسم الخوئي. كما درس المكاسب لدى الإمام الخميني، وكتاب المضاربة لدى السيد محسن الحكيم.

أجازه السيد محمد باقر الصدر بالاجتهاد عام ١٩٧٧ وكان عمره ٣٤ عاماً. وبدأ بإعطاء درس بحث الخارج في الفقه الاستدلالي، لكن تطور الأوضاع المؤسفة واعتقال الشهيد الصدر أدى إلى انقطاع البحث. وبعد هدوء الأوضاع عاد إلى إلقاء البحث الخارج عام ١٩٩٠. فبدأ بكتاب **الشرايع** للمحقق الحلي.

تزوج السيد محمد الصدر من بنت عمه السيد محمد جعفر الصدر ورزق منها بأربعة أولاد هم (مصطفى، مقتدى، مؤمل ومرتضى). تزوّج الثلاث الأوائل منهم بنات السيد محمد باقر الصدر. وقد استشهد السيدان مصطفى ومؤمل مع والدهما في حادثة اغتياله. ورزق ببنتين هما زوجتا ولديْ السيد محمد كلانتر.

ثالثاً: نتاجه العلمي

كان السيد يلقي محاضرات في تفسير القرآن الكريم يومي الخميس والجمعة من كل أسبوع إضافة إلى أيام العطل الدراسية. وتميزت آراؤه بروح التجديد والجرأة في نقد الآراء وتفنيدها. وقد خرق السيد عادة المفسرين في تفسير القرآن الكريم من سورة الفاتحة مبتدئاً بالعكس من سورة الناس. ويفسر السيد هذا المنهج الجديد بأن عادة المفسرين أن يرموا بثقلهم كله أو جلّه في السور

الطوال التي يبتدئ بها القرآن حتى إذا ما وصلوا إلى المنتصف أو أكثر تتردد في السور اللاحقة عبارة (كما قلنا في ما سبق) فلا يعطون السور الأخيرة حقها لأنهم أجهدوا أنفسهم من قبل. فاتخذ السيد محمد الصدر هذا المنهج من باب سد النقص في بحث وتفسير السور الأخيرة من القرآن الكريم.

أما مؤلفاته فهي:

أ ـ **نظرات إسلامية في إعلان حقوق الإنسان** وهو مناقشة إسلامية للائحة حقوق الإنسان التي أصدرتها الجمعية التأسيسية التي تشكلت عقيب الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩.

ب ـ **فلسفة الحج ومصالحه في الإسلام**

ج ـ **أشعة من عقائد الإسلام**

د ـ **القانون الإسلامي: وجوده، صعوباته، منهجه** وهو محاولة مختصرة لإثبات إمكان كتابة الفتاوى الفقهية على شكل مواد قانونية.

هـ ـ **موسوعة الإمام المهدي** (عليه السلام)، وقد صدر منها أربعة أجزاء هي:

١ ـ **تاريخ الغيبة الصغرى**

٢ ـ **تاريخ الغيبة الكبرى**

٣ ـ **تاريخ ما بعد الظهور**

٤ ـ **اليوم الموعود بين الفكر المادي والديني**

أما **الجزء الخامس** لا يزال مخطوطاً

لقد ساهمت هذه **الموسوعة** في إغناء المكتبة الإسلامية عموماً

والشيعية خصوصاً بما امتازت به من منهج استدلالي ومناقشات علمية وتاريخية دقيقة. كما إنها تناولت أموراً جديدة تتعلق بقضية المهدي (عليه السلام) وليس طول العمر فقط أو الهدف من غيبته كما هي عادة أغلب المؤلفات التي كتبت حول المهدي (عليه السلام). فقد تناول في **تاريخ الغيبة الكبرى** ـ صدر في نهاية عام ١٩٧٠ ـ قضايا مشاهدته ومقابلاته، ثم تطرق إلى الحياة الخاصة للإمام المهدي كالزواج والذرية ومحل الإقامة. فعرض عدة أطروحات ثم مال إلى أطروحة خفاء العنوان.

ويتميز منهج السيد محمد الصدر عموماً بالتفريعات الكثيرة والرد على مختلف الآراء الواردة في القضية المطروحة، فيشابه إلى حد ما منهج الفخر الرازي في تفسيره القرآن الكريم.

وقد أعطى الشهيد السيد محمد باقر الصدر رأيه بهذه الموسوعة فكتب في نهاية كتابه **بحث حول المهدي** يقول:

«وسأقتصر على هذا الموجز من الأفكار تاركاً التوسع فيها وما يرتبط بها من تفاصيل إلى الكتاب القيم الذي أمامنا. فإننا بين يدي موسوعة جليلة في الإمام المهدي (عليه السلام) وضعها أحد أولادنا وتلامذتنا الأعزاء وهو العلامة البحاثة السيد محمد الصدر (حفظه الله تعالى). وهي موسوعة لم يسبق لها نظير في تأريخ التصنيف الشيعي حول المهدي (عليه السلام) في إحاطتها وشمولها لقضية الإمام المنتظر من كل جوانبها. وفيها من سعة الأفق وطول النفس العلمي، واستيعاب الكثير من النقاط واللفتات ما يعبر عن الجهود الجليلة التي بذلها المؤلف في إنجاز هذه الموسوعة الفريدة. وإني لأحس بالسعادة وأنا أشعر بما تملؤه هذه الموسوعة من فراغ وما تعبر عنه من فضل ونباهة وألمعية. وأسأل المولى سبحانه

وتعالى أن يقر عيني به ويريني فيه عَلَماً من أعلام الدين».

و ـ «**ما وراء الفقه**» وهو موسوعة فقهية من عشرة أجزاء تضمنت الإجابة عن أسئلة تخص الثقافة الفقهية المعمقة. وقد طرح فيها آراء تخص المسائل الخلافية بشيء من الاستدلال، والتطرق بعمق إلى مسائل لم يتعرض إليها الفقهاء بشيء من التفصيل قبله.

ز ـ **فقه الأخلاق** وهو دورة فقهية، يبحث عن الأحكام الأخلاقية والمستحبات في الفقه. صدر الجزء الأول منه فقط.

ح ـ **فقه الفضاء** وقد اشتمل هذا الكتاب على بحوث شرعية تعد نادرة وجديدة في ميدان الفقه، حيث انتقل السيد بالمكلف خارج نطاق الكرة الأرضية إلى الكواكب الأخرى لمناقشة قضايا عديدة.

ط ـ **الصراط القويم**، وهي رسالته العملية، وضعها بشكل مختصر كي يرجع إليها المقلدون. وطبعت الرسالة ثلاث طبعات.

ي ـ **منهج الصالحين**، وهي رسالته العملية، مكونة من خمسة أجزاء، تمثل موسوعة فقهية تفصيلية. كما تناولت مسائل حديثة لم يتطرق إليها الفقهاء السابقون.

ك ـ **مناسك الحج** وكتاب **الصلاة** وكتاب **الصوم** وهي كتيبات صغيرة لفتاواه في تلك العناوين.

ل ـ **أضواء على ثورة الحسين**، وهو عبارة عن مجموعة محاضرات كان السيد يلقيها على طلبته لمدة شهرين. يتناول في هذا الكتاب الإجابة عن الأسئلة المطروحة في ما يتعلق بثورة الحسين (عليه السلام) مثل أهداف الثورة، لماذا لم يعمل الحسين (عليه السلام) بالتقية؟ إقامة المآتم ومبررات البكاء. ويناقش السيد الرواة المتأخرين الذين رووا المقتل فيوصي بالحذر منها لأن أكثر

الروايات ضعيفة السند ومرسلة. كما إنه يرفض نسبة كتاب **مقتل أبي مخنف** إلى هذه الشخصية الموثوقة.

م ـ **بحث حول الكذب وبحث حول الرجعة وكلمة في البداء** وهي كتيبات تناول فيها تلك القضايا بالبحث والاستدلال.

ولديه العديد من الكتب والدورات الفقهية والأصولية وأحكام صلاة الجمعة ما زالت مخطوطة.

الفصل الثاني

العلاقة بين المرجع والأمة

أولاً: المرجعية والحركة التغييرية

تعتمد أية حركة تغييرية في المجتمعات على ثلاثة عناصر رئيسة وهي الأيديولوجيا والقيادة والأمة. ولما كان قد انتهى زمن نزول الأديان السماوية بوفاة الرسول (ﷺ) وبدء الغيبة الكبرى للإمام المهدي (عج)، فلم يبق سوى الجانب البشري في فهم وتطبيق مفردات تلك الأيديولوجيا. ولما كان الإسلام (القرآن والسنة الصحيحة للمعصومين) نصاً سماوياً مقدساً، لم يبق إذاً، سوى كيفية فهم وتفسير تلك النصوص من قبل الفقهاء والعلماء والمصلحين. فالعنصر البشري يمثل الجانب الأقوى بعد أن انتهت مرحلة النصوص الإلهية، أي إن الأيديولوجيا باتت تعتمد بشكل رئيس على العنصر البشري في طريقة فهمه للنص التي تتأثر بعقليته وتجربته والظروف المحيطة به. فالقيادة، التي تمثل عنصر الإبداع في فهم النصوص المقدسة، والتي تعرض أفكارها من طريقة فهمها للنصوص، ومتأثرة بعنصري الزمان والمكان والظروف التي تعيشها، هي الطرف الرئيس في العنصر البشري. وتأتي الأمة، المؤمنة بتلك الأيديولوجيا، لتجسد مفرداتها على أرض الواقع متبعة منهج القيادة ورؤاها، متلاحمة معها في بناء متماسك يبدأ من داخله الفعل التغييري ليشمل المجتمع كله.

يرى السيد فضل الله أن المرجعية الشيعية تحتل مكانة كبيرة في الواقع الشيعي حتى إنها فرضت نفسها على الواقع السياسي بكل قوة. وراحت الحكومات تتعامل معها بحسابات دقيقة، وتتحاشى الاصطدام معها قدر الإمكان خوفاً من تعرضها لثورة جماهيرية. وبناءً

على ذلك اكتسبت المرجعية تأثيرها الاجتماعي من موقعها الديني. وأخذت أهميتها السياسية من قوة الأمة بوصفها الرصيد الكبير للمرجعية. على أن هذه الصورة تظهر وكأن قوة المرجعية محصلة اجتماع عنصرين أساسيين هما الدين والأمة، من دون أن يكون لها دور ذاتي في صناعة قدرتها، فهل هي الحقيقة أم إن هناك تفسيراً آخر؟

لا شك أن الإجابة عن هذا السؤال ذات أهمية خاصة، لأنها تتولى مهمة تحديد عناصر القوة في المرجعية الدينية ومنشأ هذه القوة، ومن ثم طبيعة التحرك الذي تضطلع به، ومقوماتها في صناعته. للوهلة الأولى يبدو وكأن عنصري (الأمة والدين) منفصلان عن بعضهما، وأن كل واحد منهما يتحرك بشكل مستقل في إعطاء المرجعية قوتها الميدانية، غير أن هذا الفصل الظاهري يغيب في أرضية الواقع، ويتداخل هذان العنصران للدرجة التي يعتمد فيها أحدهما على الآخر. فالأمة، وبحكم تكليفها الشرعي، ترجع إلى علماء الدين في مسائلها الحياتية في العبادات والمعاملات، وتأخذ الحكم في مستجدات الأمور منهم، وفي المواقف الحرجة تنظر صوب المرجعية لترى ما يصدر عنها.

والمكانة الدينية قد تتحول إلى موقع محدود إذا فقدت المرجعية قدرتها الحركية وانعزلت عن الأمة وقيادتها. صحيح أنها تظل تحتفظ بقدسيتها، لكن دائرة المؤمنين بهذه القدسية تتسع أو تضيق حسب اتساع أو ضيق القاعدة الجماهيرية الملتزمة بالإسلام. فالموقع الديني يُكسب المرجعية قوة ذاتية محدودة في حالة انغلاقها على نفسها وخضوعها لأجوائها الخاصة. ويتحول هذا الموقع إلى قوة كبيرة عندما تكون المرجعية نشطة في دائرة تحركها وسط الأمة. فهي المعنية بنشر الإسلام في المجتمع وهي التي تتولى قيادة العملية التغييرية في الأمة. وحين تنجح في عملها هذا تكون قد صنعت

قاعدة جماهيرية واسعة ملتزمة بالإسلام ومنضوية تحت لوائها. والشاهد التاريخي البارز في هذا الخصوص تحوّل بعض العشائر العراقية إلى الارتباط الوثيق بالمرجعية خلافاً لما كانت عليه سابقاً في القرن التاسع عشر مثلاً.

إن هذا التحول المؤثر رافقه في الوقت نفسه امتلاك المرجعية الدينية رصيداً جماهيرياً ضخماً، فضمنت بذلك عنصر الأمة، وقوّت به مكانتها الدينية (وهو العنصر الثاني لقوتها). وكانت النتيجة أن صارت المرجعية قوة اجتماعية وسياسية كبيرة في المجتمع العراقي، قلبت الموازين في الساحة العراقية وغيّرت مجرى الأحداث فيها، ورسم على أساس هذا التحول تاريخ العراق في السنوات التي أعقبت ذلك. وهنا تبرز مسألة جديدة هي كفاءة المرجعية في استخدام مكانتها الدينية في توجيه الأمة وتحريك الأحداث، لتحتفظ بقاعدة جماهيرية متفاعلة ولتبقى متمتعة بمركز القوة في الساحة[1].

إن مشكلة المرجعية في كل تاريخها أنها كانت شخصاً، كانت تعتمد على مستوى هذا الشخص، وعلى مبادراته، وعلى سعة أفقه والظروف والأشخاص المحيطين به. ومن هنا، فإننا في الوقت الذي نؤكد أن المرجعية في كل تاريخها قامت بمبادرات هامة في الدائرة الشيعية، وأنها حفظت التشيع بطريقة أو بأخرى، إلّا أنها لم تفكر بأن تتحمل مسؤولية التشيع أمام كل المتغيرات الواقعية على المستوى السياسي والثقافي والاجتماعي والاقتصادي، وعلى مستوى التطورات التي انطلقت في العالم[2].

---

(١) سليم الحسني، **المعالم الجديدة للمرجعية الشيعية: دراسة وحوار مع السيد فضل الله** (قم: مؤسسة النشر الإسلامي، ١٩٩٣)، ص ١٤ ـ ١٦.

(٢) حسين الشامي، **المرجعية الدينية: من الذات إلى المؤسسة** (لندن: دار الإسلام، ١٩٩٩)، ص ٤٢٦.

وتؤدي شخصية المرجع دوراً رئيساً في مكانته الاجتماعية وتأثيره في الأمة من خلال مقومات شخصيته ومن خلال نظرته إلى الحياة واهتماماته السياسية والفكرية. فقد صنع بعض الفقهاء أحداثاً تاريخية من خلال مواقفهم وفتاواهم، وقادوا جماهيرهم في مسيرة تحوّلات عميقة وإنجازات عظيمة. فالمرجع الديني السيد محمد حسن الشيرازي (سامراء) قاد ثورة التنباك عام ١٨٩١، وساند المرجع الديني الملّا كاظم الخراساني (النجف) التحولات السياسية وثورة الدستور في إيران عام ١٩٠٥ التي أدت إلى تدوين أول دستور إسلامي لحكومة ملكية دستورية[٣]. وتصدّت المرجعية الدينية للغزو العسكري البريطاني للعراق عام ١٩١٤ حيث أصدر السيد محمد سعيد الحبوبي والسيد كاظم اليزدي فتوى الجهاد التي تمكنت من تعبئة العشائر العراقية في مواجهة القوات البريطانية. وقامت المرجعية الشيعية بدور حاسم في مقاومة الاستعمار البريطاني ومخططاته الرامية إلى جعل العراق مستعمرة هندية، فقادت ثورة العشرين ١٩٢٠ التي أنجزت موافقة الإنكليز على تأسيس دولة عراقية مستقلة يرأسها ملك عربي مسلم، في حين كانت رغبة بريطانيا ومن يساندها من وجهاء العراق هو قيام حكم بريطاني مباشر في العراق. فأصدر المرجع الديني الشيخ محمد تقي الشيرازي (كربلاء) فتواه الشهيرة بحرمة تولية غير المسلمين السلطة في بلد إسلامي[٤].

لقد مثلت المرجعية الدينية نضجاً سياسياً ووعياً رفيع المستوى في بداية القرن العشرين عبر تمكنها من بلورة مشروعها السياسي

---

(٣) جعفر عبد الرزاق، **الدستور والبرلمان في الفكر السياسي الشيعي، ١٩٠٥ - ١٩٢٠**، سلسلة قضايا إسلامية معاصرة؛ ٢٢ (قم: [د. ن.]، ١٩٩٩)، ص ١٨ وما بعدها.

(٤) للتعرف على دور المرجعية الشيعية في تأسيس الدولة العراقية والمطالبة بقيام حكم مقيد بدستور ومجلس تشريعي منتخب، انظر: المصدر نفسه، ص ٨٣.

الذي اعتمد بشكل رئيس على العنصر الجماهيري (العشائري) ومكانة المرجعية ودورها السياسي والاجتماعي في المجتمع العراقي. يقول الباحث إسحق نقاش «واقتربت عملية تكوين الدولة الشيعية في جنوب العراق من النضج في مرحلة مبكرة من القرن العشرين، حين قام مجتهدون قياديون بصياغة نظرية تحدد طبيعة الدولة التي كانت في تصوّرهم، وأرسوا أسس تمثيلهم في السياسة. ولكن محاولة المجتهدين لإقامة حكومة إسلامية في العراق لم تتحقق، وأُجهضت عملية تكوين الدولة الشيعية في أعقاب الاحتلال البريطاني ثم إقامة دولة سنية في البلاد»(٥). وفي نهاية السبعينيات تمكّن المرجع الديني السيد روح الله الخميني بمساندة الحوزة العلمية والجماهير الإيرانية من إسقاط نظام الشاه وتأسيس أول جمهورية إسلامية عام ١٩٧٩.

ثانياً: المرجعية وفن الخطاب الجماهيري

إن تحريك الرأي العام فنّ له أصوله وعناصره ومناهجه، يعتمد على مدى دقة تشخيص القائد لمفردات العناصر السلوكية والفكرية التي تؤثر في المجتمع الذي يخاطبه. وربما لم يدرس المرجع علم الاجتماع لكن أسلوبه وتحركه ينطبق على بعض مفردات هذا العلم، بسبب الخبرة الطويلة والحس المرهف والأسلوب الصحيح في مخاطبة الآخرين والتأثير عليهم. وفي الرسول (ﷺ) والأئمة (عليهم السلام) أسوة حسنة وتراث غني في كيفية التأثير في الآخرين وجذبهم إلى الخط الإسلامي وتعبئتهم عند الأزمات.

وفي التاريخ المعاصر برز عدة مراجع ذوي تأثير كبير في

(٥) اسحق نقاش، **شيعة العراق** (دمشق: منشورات دار المدى، ١٩٩٦)، ص ٢٠.

الرأي العام في مجتمعاتهم من خلال نوعية خطابهم أو مواقفهم وسلوكهم مع الجماهير. ففي عام ١٩١٤ قام علماء الشيعة بقيادة كتائب المجاهدين بمواجهة القوات البريطانية التي نزلت في البصرة لاحتلال العراق. فلم يكتفوا بإصدار الفتاوى وإلقاء الخطب الحماسية لتعبئة الناس للمشاركة في الجهاد بل ساروا معهم، ينزلون عند كل مدينة أو قرية، يبثون فيها روح المقاومة فيلتحق أهلوها بهم. فقد «خرج السيد محمد سعيد الحبوبي من النجف في عصر ١٥/ ١١/ ١٩١٤ في موكب يصحبه جماعة من أصحابه. وكان قد تقلد سيفه، والطبول تدقّ أمامه. وبعد نزوله في كثير من المدن والعشائر وصل الناصرية في منتصف كانون الثاني/ يناير ١٩١٥. وكان الحبوبي أثناء مكوثه في الناصرية دائب الحركة إذ صار يتجول بين العشائر المجاورة، ويرسل أعوانه من شبان الطلبة كباقر الشبيبي وعلي الشرق إلى العشائر البعيدة، لحثهم على الانضمام إلى حركة الجهاد»[٦]. الأمر نفسه حدث للشيخ مهدي الخالصي في الكاظمية ببغداد. كما انطلق علماء النجف وكربلاء من بغداد أيضاً أمثال الشيخ فتح الله الأصفهاني، والسيد علي التبريزي والسيد مصطفى الكاشاني وآخرين. وفي معركة الروطة قرب البصرة فشلت القوة العسكرية البريطانية في احتلال المنطقة لأن أحد العلماء «هو السيد مهدي الحيدري (٨٠ عاماً) كان السبب الأكبر في انتصار الأتراك على الإنكليز لأنه كان قد نصب خيامه قريباً من ساحة المعركة، وظل صامداً فيها لا يبالي بقصف المدافع، ما شجع المجاهدين والقوات العثمانية كلها أن تصمد معه وتهزم الإنكليز شر هزيمة»[٧].

---

(٦) علي الوردي، **لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث** (لندن: دار كوفان للنشر، ١٩٩٢)، ج ٤: **من عام ١٩١٤ إلى عام ١٩١٨**، ص ١٢٩ ـ ١٣٠.

(٧) المصدر نفسه، ج ٤، ص ١٣٧.

وهناك أمثلة كثيرة تؤكد تأثير الحضور الجماهيري للعلماء في تعبئة الأمة، وفي سير الأحداث التاريخية.

وتختلف الأساليب التي يعتمدها المراجع من بلد إلى آخر ومن عصر إلى آخر، فالإمام الخميني استخدم عدة أساليب متنوعة قبل انتصار الثورة وبعدها مثل: الخطاب الجماهيري العام والبيانات التي تطبع وتوزع على الناس أو تلصق على الجدران في المساجد والأسواق والشوارع[٨] والخطاب المسجل على أشرطة كاسيت حيث يُسجَّل منه الآلاف توزع في المدن الإيرانية. وكان هذا الأسلوب قد اشتهر أثناء المواجهة مع نظام الشاه في شهوره الأخيرة، وعندما كان الإمام يقيم في باريس. كما استخدم أساليب جديدة مثل «إطلاق نداء الله أكبر» من سطوح المنازل في وقت محدد، والتشديد على المسيرات المليونية التي يتصدرها العلماء، ورفض دفع الضرائب الحكومية ومخاطبة المسؤولين الكبار بعدم إطاعة أوامر الشاه، ودعوة الأمة إلى القيام بإضرابات شاملة[٩].

وكان السيد محمد باقر الصدر منفتحاً على الأمة من خلال تلقيه عشرات الرسائل من مختلف الشرائح الاجتماعية تتضمن استفتاءات وأسئلة عقائدية وتاريخية وفلسفية واقتصادية. وكان يجيب عليها ويهتم بذلك كثيراً، خاصة بتلك الرسائل القادمة من شباب الجامعات العراقية. وكان يستقبل في منزله المتواضع الكثير من الراغبين في زيارته وتوجيه الأسئلة إليه مباشرة. فكنا آنذاك نلاحظ مدى ترحيبه واهتمامه بنا والاستماع إلى أحاديثنا والإجابة عنها بكل لطف وعلمية.

---

(٨) جلال الدين مدني، **تاريخ إيران السياسي المعاصر** (طهران: منظمة الإعلام الإسلامي، ١٩٩٣)، ص ٣٧٠.

(٩) انظر بيان الإمام الخميني إلى الشعب الإيراني في الأول من محرم ١٣٩٩ هـ، في: المصدر نفسه، ص ٣٦٦.

وترك لنا محاضرات قيمة ألقاها على طلابه قبل شهادته. صحيح أن الشهيد الصدر لم يزر مقلّديه في المدن الأخرى ولم يلقِ خطابات جماهيرية[١٠] لكن الجماهير كانت تشعر بمدى قربه منها، وما يمثله من طموحات وهموم الأمة. وكانت علاقته بالناس خارج النجف الأشرف تتم عبر طريقين، **الأول**: الشخصيات الحركية من حزب الدعوة الإسلامية التي تنقل أفكاره وتثقف الناس على منهجه، **والثاني**: وكلاؤه في المدن العراقية الذين ينقلون توجيهاته وفتاواه بالإضافة إلى آرائه ومواقفه. كما إن مؤلفاته العظيمة كانت خير سفير له حيث تجد طريقها في عقول ونفوس الشباب والمثقفين وطلاب الجامعات. وعندما أعلنت الإذاعة الإيرانية عن عزمه على مغادرة العراق، رغم عدم وجود نية للشهيد الصدر بذلك[١١]، تم إتخاذ قرار باستقدام وفود جماهيرية من مختلف مدن العراق لزيارة القائد الصدر في منزله وتجديد البيعة له، في ما عرف بـ «وفود البيعة»[١٢] التي

(١٠) من النادر قيام مرجع ديني بارتقاء المنبر أو إلقاء محاضرات عامة (خارج دروس الحوزة) أو زيارة الجماهير أو القيام بجولات في المدن التي يوجد فيها مقلدوه. هذه الأعراف الحوزوية بقيت سائدة ومؤثرة حتى اليوم.

(١١) يكاد يوجد اتفاق بين المعاصرين للسيد الصدر والباحثين بعدم صحة الخبر الذي وصل الإمام الخميني بأن الصدر يريد مغادرة العراق. وقد رد الإمام الراحل ببرقية موجهة للسيد الصدر أذاعتها الإذاعة الإيرانية في تلك الفترة تضمنت رغبة الإمام ببقاء الصدر في النجف. يقول الشيخ محمد رضا النعماني بأن الشهيد الصدر «لم يكن عازماً في واقع الأمر على مغادرة العراق، بل لم يفكر بذلك مطلقاً. وقد أجرينا عدة اتصالات هاتفية نستفسر عن حقيقة البرقية والهدف منها. ولكن للأسف لم تثمر تلك الاتصالات شيئاً، ولم يتحقق السيد الشهيد من هذه القضية، ولم يعرف الأسباب والدوافع حتى اليوم الذي استشهد فيه». انظر: محمد رضا النعماني، **الشهيد الصدر: سنوات المحنة وأيام الحصار** (قم: مطبعة إسماعيليان، ١٩٩٧)، ص ٢٦٦.

(١٢) يذكر السيد حسين الشامي الذي كان وكيلاً للسيد محمد باقر الصدر أنه «كان الإمام الصدر يدرك ضعف العلاقة بين الأمة والمرجعية وآثارها السلبية على الوضع الإسلامي العام. فمع غياب الترابط الوثيق بين المرجعية والأمة لا يمكن القيام بدور مؤثر في حركة الأحداث. لذلك كان يفكر بالأسلوب الذي يجب اعتماده لربط الأمة بالمرجعية. وعلى هذا =

ضمت مختلف الشرائح الاجتماعية العراقية، شباباً وشيباً، رجالاً ونساءً، مثقفين ومهنيين وكسبة وطلاب، كما شارك فيها أعداد من أهل السنة[١٣]. وعندما فرض النظام العراقي الإقامة الجبرية عليه قبل استشهاده بعدة شهور، وانقطعت صلته بالعالم، بادر إلى كتابة بيانات موجهة إلى الشعب العراقي. ولما كان من الصعب توزيع بياناته في الشارع، فقد قام بتسجيل هذه البيانات بصوته على أشرطة كاسيت، تم تهريبها إلى إيران لتبث من الإذاعة الإيرانية لتصل إلى ملايين المسلمين في العراق وإيران ودول المنطقة[١٤].

أما السيد محسن الحكيم، ففي أثناء التوتر بين المرجعية والنظام الحاكم لجأ إلى الخطاب الجماهيري حين كان يكلف أحد أولاده بإلقاء خطاباته التي تتضمن نقداً حاداً للسلطة في مؤتمرات وتجمعات جماهيرية حاشدة ذات طابع احتجاجي. فكان السيد محسن الحكيم يريد تفعيل صورة المرجعية في أذهان الأمة من خلال التأكيد على حضورها ومخاطبتها أبناء الأمة مباشرة كي تعزز من التلاحم بين الأمة والمرجعية. كما مارس الحكيم سياسة المنفى

= الأساس تم الاتفاق بين الشهيد الصدر وبين قيادة حزب الدعوة الإسلامية على القيام بإرسال الوفود الجماهيرية من مناطق العراق المختلفة إلى النجف الأشرف لتعلن عن بيعتها للإمام الصدر قائداً ومرجعاً تلتزم بالانضواء تحت لوائه من أجل الإسلام». انظر: الشامي، **المرجعية الدينية: من الذات إلى المؤسسة**، ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤. ويؤيد ذلك أيضاً محمد الحسيني، انظر: محمد الحسيني، **الإمام الشهيد محمد باقر الصدر: دراسة في سيرته ومنهجه** (بيروت: دار الفرات، ١٩٨٩)، ص ٣١٢، وعلي المؤمن، **سنوات الجمر: مسيرة الحركة الإسلامية في العراق، ١٩٥٧ ـ ١٩٨٧** (لندن: دار المسيرة، ١٩٩٣)، ص ١٦٦.

(١٣) النعماني، المصدر نفسه، ص ٢٦٨.

(١٤) نبيل عبد الهادي، «الصدر وصدّام: الإنسانية في مواجهة الهمجية،» في: **محمد باقر الصدر: دراسات في حياته وفكره** (لندن: دار الإسلام، ١٩٩٦)، ص ٦٦٩، الهامش الرقم (٧٠). ويتحدث الشيخ محمد رضا النعماني عن تفاصيل كتابة تلك البيانات والنداءات من دون الإشارة إلى تسجيلها.

الاختياري المؤقت حين قام في حزيران/ يونيو ١٩٦٩ بمغادرة محل إقامته (النجف) متوجهاً إلى الكاظمية ببغداد كإيحاء بالاحتجاج[١٥]. وهكذا تنوعت طرق الاحتجاج وأساليب تعبئة الجماهير حسب ظرف المرجع ورؤيته.

ثالثاً: مقدمات المشروع السياسي للصدر الثاني

تعرضت المرجعية الدينية في العراق خلال العقود الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين إلى ضربات قوية من قبل النظام الحاكم، ففي الفترة ما بين عام ١٩٦٨ (وصول حزب البعث العراقي للسلطة) وحتى عام ١٩٧٠ (حيث توفي السيد الحكيم) تعرضت مرجعية السيد محسن الحكيم إلى إساءات عديدة وصلت إلى اتهام ولده السيد مهدي الحكيم بالتجسس لقوى أجنبية. وفي عام ١٩٨٠ أعدم المفكر الإسلامي المرجع الديني السيد محمد باقر الصدر بتهمة تشكيل حزب إسلامي سرّي معارض (حزب الدعوة الإسلامية) وتأييد الثورة الإسلامية في إيران. وفي عام ١٩٩١ تعرض السيد أبو القاسم الخوئي إلى ضغوط كبيرة بسبب دعمه الانتفاضة الشعبانية في آذار/ مارس ١٩٩١. كما تعرض للسجن والتعذيب العديد من المراجع الكبار (السيد السيستاني والسيد السبزواري والسيد محمد سعيد الحكيم والسيد محمد الصدر) وعشرات الفضلاء وأساتذة وطلاب الحوزة العلمية، واستُشهد آخرون أثناء الانتفاضة وبعدها. كما اغتيل عدد من المراجع الكبار أمثال الشيخ علي الغروي والشيخ البروجردي، إضافة إلى محاولة اغتيال السيد علي السيستاني.

ورث الصدر الثاني إرثاً ثقيلاً وظروفاً صعبة وبلداً محاصراً

(١٥) المؤمن، **سنوات الجمر: مسيرة الحركة الإسلامية في العراق، ١٩٥٧ ـ ١٩٨٧**، ص ٤٩ و٩٦.

اقتصادياً وسياسياً وسلطة تمارس سياسة البطش والقمع في أقسى صورها وشعباً محاصراً أمنياً واقتصادياً، تفشّى فيه الفقر والجوع والمرض والانحلال الأخلاقي، وجماهير ما زالت تلملم جراحها بعد ما قدمته من تضحيات جسيمة أثناء، وبعد، الانتفاضة العظيمة عام ١٩٩١. كل هذه المفردات تمثل مثبطات لمجرد التفكير في أي مشروع نهضوي سياسي ـ اجتماعي. كما إن ضعف الإمكانات الذاتية يشكّل بحدّ ذاته تحدياً كبيراً أمام أي حركة تغييرية ممكنة. هذا الإرث الثقيل بعناصره المتشابكة مثل التحدي الأكبر أمام الصدر الثاني لبناء مشروعه التأسيسي. لقد كان عليه أن يفكك عناصر الصراع ويعالج كل واحد على حدة ليخلق منه لبنة قادرة على الانسجام والتكيف مع اللبنات الأخرى، كي يرتفع البناء على أسس قوية متراصة. كان عليه أن يتجاوز القيود التي تقيد حركته داخل المرجعية الدينية نفسها أولاً، هذه القيود ليست سوى إشكاليات تطورت عبر السنين لتصبح واقعاً وعرفاً يجب التقيد به رغم هشاشة متبنيّاته. هذه الإشكاليات هي:

١ ـ إشكالية العلاقة مع السلطة

كان على الصدر الثاني أن يحدد موقفه من «إشكالية الاعتزال والمواجهة» التي حكمت مسار العلاقة بين الحوزة والسلطة. فمن العلماء من آمن بالمواجهة ومنهم من آثر السكوت، وكل له اقتناعاته ومبرراته الشرعية. فانتهج الصدر الثاني طريقه الخاص به في تحييد السلطة ريثما تكتمل ملامح مشروعه وتنضج خبرته استعداداً للمواجهة التي لا بد منها في يوم ما. فكان عليه أن يتفادى استفزاز السلطة ويمنعها من التفكير في الإجهاز عليه وعلى مشروعه. ومع أن لذلك الموقف استحقاقاته، إلّا أن الصدر لم يمنح السلطة ما تأمله منه، إذ لم ينقل عنه أي مديح للسلطة أو تأييدها سياسياً أو

فكرياً[١٦]، بل على العكس، كان ينتقد السلطة في لقاءاته أو في صلاة الجمعة تارة تلميحاً وتارة تصريحاً. وكان يدرك أن السلطة تريد اغتياله حوزوياً وجماهيرياً عندما كانت تمتدحه في إعلامها[١٧]. لقد كان الصدر يعي بأن السلطة تريد تحجيمه والسيطرة على مرجعيته؛ ففي لقاء صحفي مسجل صرح بأنه من وجهة نظر الدولة «ينبغي السيطرة على هذه الجهة (مرجعية الصدر) وتحجيمها. وأحسن طريقة للتحجيم هي أن يُمدح ويُنفّع لأجل أن يخمد ويأفل نجمه، وهذا ما حصل. تصرفوا (عناصر السلطة) تصرفاً حكيماً من وجهة نظرهم متسماً بالحقيقة، وأنا أعمل على أعصابي، ولا أستطيع أن أقول مجبراً أو مكرهاً. بأي يد أصفق وبأي لسان أنطق؟ فالناس في داخل وخارج العراق يأخذون المطلب كأنه ناجز، كأنني أنا لي رغبة في ذلك».

وخلال تلك المرحلة واجه الصدر الثاني حملات عدائية وهجمات واتهامات في الخارج والداخل، في حين لا يمكنه الإفصاح عن مشروعه، كما في تصريحه الآنف الذكر، لأنه سيُجهض في وقت مبكر. لقد استطاع الصدر أن يوطد صلته بالجماهير العراقية ويكسب ثقتها وخاصة مجاهدي الداخل الذين كانوا يدركون عمق الإشكالية التي وُضع الصدر الثاني فيها من خلال اتهامه بالعمالة للسلطة، وأنه لا يستطيع أن يكشف مشروعه قبل أوانه، وأنهم يؤمنون بأن «السيد محمد الصدر هو الأصلح وهو

---

(١٦) من كلمة لسماحة السيد محمد حسين فضل الله. انظر: عادل رؤوف، **مرجعية الميدان** (دمشق: المركز العراقي للإعلام والدراسات، ١٩٩٩)، ص ١٠٦.

(١٧) كان الإعلام العراقي ينشر رسائل وبرقيات منسوبة إلى السيد محمد الصدر تتضمن تهنئة لصدام أو تأييداً له، ولم يكن بوسع الصدر الثاني إصدار تكذيب لهذه البرقيات. وقد سئل عنها يوماً فقال «أنا أبدأ رسائلي بعبارة (بسمه تعالى) بينما الرسائل التي ينسبها الإعلام العراقي لي تبدأ بعبارة: بسم الله الرحمن الرحيم». انظر: **نشرة النخيل**، العدد ٣٩ (آذار/ مارس ١٩٩٩)، ص ٤.

يخطط لأمر مستقبلي يقوّي به التيار الديني بشكل عجز عنه الآخرون. وهو يريد تغيير النفوس قبل تغيير النظام. وأن ما تردد عنه من مسائل قد تكون غير مقبولة عند البعض، هو من شائعات أعداء الإسلام، وأن النظام زرع جواسيس عليه حتى في مكتبه في النجف الأشرف، وأنه يسعى لإحياء الدين ومعالمه التي بدأت بالاندثار، وأنه ثوري يخطط للحظة المناسبة، ويريد أن يستغل الظرف الراهن الذي ضعف به النظام. وأن الكثير من أبناء الشعب لم يكونوا يعرفون أمور دينهم قبل تصدي السيد الصدر للمرجعية»(١٨). لقد كانت (الأمة في الداخل) أكثر فهماً والتصاقاً بمرجعية الصدر من (الأمة في الخارج) التي تأثرت بحملات بعض الأطراف ضده.

لقد انطلق الصدر الثاني في علاقته بالسلطة من خلال قاعدة «جواز العمل مع حكّام الجور» حيث تعامل الصدر مع السلطة من دون أن يعطيها المشروعية. كما إن علاقته بالسلطة لم تكن علاقة تعاون بل علاقة تعامل مشروط لا تختلف عن بعض حالات التعامل التي شهدها التاريخ الفقهي الشيعي من قبل بعض الفقهاء الشيعة تماشياً مع مصلحة الإسلام العليا التي يقدّرها الفقيه في ضوء الواقع والظرف الاجتماعي الذي يحكم مرحلته(١٩). وقد صنف في هذه المسألة الكثير من فقهاء الشيعة على مر التاريخ كالشيخ الصدوق (٣٨١هـ)(٢٠)، والشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ)(٢١)، وشيخ الطائفة

---

(١٨) من كراس **مرجعية السيد محمد الصدر** (خاص ومحدود)، حيث يذكر الكراس أن النص الذي ذكرناه هو «إشاعة يروجها أنصار السيد محمد الصدر بين عموم الشعب وقسم كبير من مجاهدي الداخل». والمتأمل في عبارات هذه (الإشاعة) يرى أنها تحققت فعلاً، وأن هذا ما كان فعلاً ينوي السيد الصدر القيام به، حتى استشهد.

(١٩) رؤوف، **مرجعية الميدان**، ص ١٠٣.

(٢٠) كتاب **المقنع** للشيخ الصدوق.

(٢١) أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان، المعروف بالشيخ المفيد، **أوائل المقالات في** =

الطوسي (ت ٤٦٠هـ)[٢٢]، والشريف المرتضى (ت ٤٣٦هـ)[٢٣]. ومن المتأخرين الإمام الخميني (ت ١٩٨٩م)[٢٤] والشيخ محمد مهدي شمس الدين[٢٥].

وبعد أن يناقش الروايات المانعة والروايات المجوّزة، يستنتج الشيخ شمس الدين ما يلي:

«إن المستفاد من مجموع الروايات، ونسبة بعضها إلى بعض أمران:

الأول: إن هذه الروايات لا تتضمن حكماً أولياً أصلياً من صرف العمل مع (ولاة الجور) سواء في ذلك العمل الحكومي، أو الأعمال الحرة، بل هي دالة على أن العمل مشروع ومباح في الجملة إذا لم يتضمن أو يلازم الاعتراف بالشرعية، ولم يؤدِّ إلى الظلم، والمعاونة عليه، فليس في البين حكم تعبدي غيبي.

الثاني: إن مصبّ المنع في الروايات الدالة على التحريم، هو الاعتراف بشرعية هؤلاء الحكام، وحكمهم، وما يلزم العمل معهم من ظلم الناس. وأما إذا كان العمل معهم لا يتضمن اعترافاً بالشرعية ولا يلازم ذلك، ولا يؤدي إلى ارتكاب الظلم، والمعاونة عليه، فإن الروايات دالة على مشروعية العمل وإباحته»[٢٦].

= **المذاهب والمختارات** (تبريز، إيران: [د. ن.]، ١٩٥١)، باب «القول في معاونة الظالمين»، ص ١٣٧.

(٢٢) كتاب **النهاية في مجرد الفقه والفتاوى**.

(٢٣) كتاب **رسائل الشريف المرتضى**، «مسألة في الولاية من قبل السلطان الجائر».

(٢٤) روح الله الموسوي الخميني، **تحرير الوسيلة** (قم: مطبعة اسماعيليان؛ النجف: مطبعة الآداب، ١٩٧٠)، ج ١، ص ٤٨٣، كتاب «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».

(٢٥) انظر فصل «الموقف الشرعي من حكام الجور» في: محمد مهدي شمس الدين، **في الاجتماع السياسي الإسلامي** (قم: دار الثقافة للطباعة والنشر، ١٩٩٤)، ص ٢٠١.

(٢٦) المصدر نفسه، ص ٢٣٦ ـ ٢٣٧.

يشرح السيد محمد الصدر علاقته بالسلطة بشكل واضح حيث يقول «السلطة تؤيد المظاهر الدينية الشيعية وترعاها، وهي تعطف علينا ما دُمنا لا نتدخل في السياسة. وهي تكفّ شرها عنا ما دمنا نكف شرنا عنها، بمعنى أنها تلتزم إزاءنا سياسة المعاملة بالمثل»[٢٧]. ومع ما يتضمنه التصريح من تقية إلّا أنه يتضمن تأكيداً على «سياسة المعاملة بالمثل» التي أراد بها منطلقاً يحدد طبيعة تعامله مع السلطة. وكانت الحوزة تتعامل بالمنطق نفسه مع السلطات السابقة واللاحقة لكن أسلوب التعامل تغير عند الصدر الثاني بسبب الظروف التي حكمت مرحلته. لقد رفض الشهيد الصدر الثاني ووكلاؤه طلب السلطة المتكرر (بالدعاء للسيد الرئيس صدام حسين). ورفض أيضاً طلب مبعوث صدّام (محمد حمزة الزبيدي)، قبل يومين من اغتياله، إصدار فتوى (تحرير الكعبة) موجهة ضد الحكومة السعودية، وفتوى أخرى لتأييد دعوة صدام الشعوب العربية للإطاحة بحكامها. كما رفض طلباً للنظام يقضي بأن يدرج ضمن خطبه تأكيدات تؤيد سعي السلطات لاعتقال المسؤولين عن اغتيال المرجعين البروجردي والغروي[٢٨].

٢ ـ إشكالية العلاقة بين الفقيه والمكلَّف

أراد الصدر تجاوز «جدلية الفقيه والمكلَّف: مَنْ يذهب إلى مَنْ؟» التي ترى أنه يجب ألّا يذهب الفقيه إلى المكلف ويبلغه حكمه، بل يجب على المكلف نفسه أن يأتي إلى الفقيه ويسأله. فينتقد الصدر هذه الظاهرة بقوله «نعم تصح هذه المقولة إذا توجه السؤال للفقيه، وجب حينئذ الجواب. أما إنه يجب على الفقيه طرق باب

---

(٢٧) رؤوف، **مرجعية الميدان**، ص ١٠٣، نقلاً عن: **الوسط** (١٨ نيسان/ أبريل ١٩٩٤).
(٢٨) رؤوف، المصدر نفسه، ص ٢٥٣، نقلاً عن: **الحياة**، ٢٤/ ٢/ ١٩٩٩.

المكلف من دون سؤال، وأن يعطيه حكمه، فهذا لا، وهذا مشهور». ثم يقرر أن نتائج هذه الظاهرة أنها ترسخ «المقاطعة والانفصال النفسي والاجتماعي بين الحوزة والمرجعية من ناحية وبين العشائر من ناحية أخرى»[٢٩] . ويوجه نقده للحوزة التي تتقاعس عن الاهتمام بالأمة ونشر الأحكام الإسلامية والفقه بين أبنائها، كما ينتقد الذرائع المتداولة بين بعض أوساط الحوزة التي تقول «لا يجب التبليغ الشرعي إلا عند السؤال، هكذا القول المشهور. أما بدون سؤال فإنه غير واجب بل مستحب ولا يجب القيام بما ليس بواجب. المستحبات يعني واجبة فيجب أن أتركها، ولا يجب حسب العبارة المتعارفة دق أبواب الآخرين لا أفراداً ولا جماعات ولا طوائف لهدايتهم. لا توجد هكذا ضرورة ـ هذا المسلك التقليدي وليس أنا أقول بذلك ـ ومن هنا اتخذت الحوزة العلمية فلسفتها الاجتماعية عن هذا الطريق». ويوضح الصدر الثاني موقفه تجاه هذه الإشكالية فيقول «إلا أن الحوزة الناطقة المجاهدة (أي حوزته) لا ينبغي أن تكف عن النشاط في مختلف الاتجاهات ومختلف الأساليب»[٣٠] .

لقد أعاقت هذه الأعراف والمقولات عملية التواصل بين المرجعية والأمة بشكل عزّز عزلة المرجعية عن الجماهير، فكان لا بد للسيد الصدر الثاني من تجاوزها بهدف بناء علاقات وطيدة مع الأمة. لقد شعر بخطورة العزلة عن الأمة، إذ كيف سيرتفع مستوى الأمة عقائدياً وفقهياً؟ هذا إذا لم نتطرق إلى الجانب السياسي والأخلاقي. هذا الانفصال بين المرجعية والأمة بحاجة إلى جهود كبيرة للقضاء عليه وردم تلك الهوة بين المرجع والجماهير. يقول

(٢٩) انظر الخطبة الرقم (٢١)، في: محمد صادق الصدر، **مجموعة خطب الجمعة.**

(٣٠) انظر الخطبة الرقم (٤٥)، في: المصدر نفسه.

السيد عبد الله الغريفي «إذا غابت المرجعية عن واقع الأمة وعن قضاياها وهمومها وتطلعاتها، فمن الطبيعي جداً أن تغيب عن وعي الأمة ووجدانها. فحتى يكون للمرجعية حضور في وعي الأمة ووجدانها يجب أن يكون لها حضور في واقع الأمة وحركتها وتطلعاتها وامتداداتها ومعاناتها. فكما نريد للمرجعية أن تكون حاضرة في وعي الأمة ووجدانها، نريد للأمة أن تكون حاضرة في وعي المرجعية ووجدانها. فكيف تكون الأمة حاضرة في وعي المرجعية؟ ومتى تكون كذلك؟ إنها تكون كذلك حينما تكون الأمة الهمَّ الكبيرَ للمرجعية. وحينما تكون المرجعية حاضرة في قضايا الأمة: الفكرية والاجتماعية والسياسية. مما يؤسف له أن الأمة أصبحت حالة مهمشة في الوعي المرجعي، فبمقدار ما يكون الرصيد في الأمة من حيث التقليد، وبمقدار ما يكون عطاء الأمة من الحقوق والأخماس، يكون الحضور. أما أن تكون الأمة حاضرة بهمومها كلها في ذهن المرجعية فمسألة تحتاج إلى تأمل ونظر! من هنا، فإن هناك علاقة جدلية بين المرجعية والأمة، فبمقدار ما يعطي المرجع من حضور، تعطيه الأمة من حبها وثقتها والتفافها، وبمقدار ما يعيش المرجع غياباً عن واقع الأمة الفكري والثقافي والروحي والسياسي بمقدار ما تبتعد الأمة عن حضورها في الواقع المرجعي. فإذا أعطت المرجعية الأمة فكرها وجهدها وثقتها، فإن الأمة ستعطيها الكثير من ولائها وحبها. وإذا مارست المرجعية أبوّتها للأمة، فستعطي الأمة بنوّة صادقة للمرجعية. ولذلك ليس من الصحيح أبداً أن نتهم الأمة دائماً بالعقوق. يجب علينا إعادة صياغة المشروع المرجعي وفق منظور جديد يضع الأمة في حسابه»[٣١].

(٣١) عبد الله الغريفي، في: **نشرة فكر وثقافة (دمشق)**، العدد ١٤٣ (أيلول/ سبتمبر ١٩٩٩).

٣ ـ إشكالية العلاقة مع المرجعيات الأخرى

عبر التاريخ تطورت المرجعية الدينية عموماً في المسار الفردي، لذلك لم تشهد عملاً جماعياً «بين المراجع أنفسهم» إلا في الحالات النادرة، مثل مواجهة عدوّ خارجي كالاحتلال البريطاني للعراق عام ١٩١٤، أو الوقوف ضد تولّي حاكم إنكليزي إدارة العراق، حين أصر المراجع على انتخاب حاكم مسلم عام ١٩١٩، أو في وقوفهم مع مطالب الحركة الدستورية عام ١٩٠٥. ولذلك شهدت تلك المرحلة التاريخية صدور فتاوى مشتركة تضم إمضاءات العديد من المراجع والفضلاء[٣٢].

ولم يكن صعود مرجعية السيد الصدر الثاني بالأمر السهل، خاصة إذا لاحظنا الظروف التي برزت فيها وما رافقها من تشكيك واتهام بوجود علاقة مع السلطة، فتصاعدت وتيرة الانتقادات له، مما حدا بالسيد الصدر الثاني إلى توجيه انتقادات شديدة وعلنية للمراجع الآخرين. وهذه الحالة ليست شاذة في مرجعية الصدر الثاني. فالإمام الخميني انتقد كثيراً بعض الأوساط الحوزوية والمرجعيات المعاصرة له والمختلفة معه في الرأي. كما تعرضت مرجعية السيد محمد باقر الصدر إلى العداء والتشكيك والمحاربة[٣٣]. ووصلت الأمور إلى حد اتهام السيد الصدر الأول بالعمالة لأمريكا وهو يعاني في الحجز في منزله[٣٤]، واستعداء النظام العراقي ضده والمطالبة بإعدامه[٣٥].

---

(٣٢) انظر مثلاً الفتاوى المشتركة، في: عبد الرزاق، **الدستور والبرلمان في الفكر السياسي الشيعي، ١٩٠٥ ـ ١٩٢٠**، ص ٧٥، ٨٢ و٨٥.

(٣٣) محمد باقر الناصري، «الإمام الشهيد محمد باقر الصدر: رائد التغيير والإصلاح،» **الفكر الجديد**، العدد ٩ (آب/أغسطس ١٩٩٤)، ص ٨٥.

(٣٤) النعماني، **الشهيد الصدر: سنوات المحنة وأيام الحصار**، ص ١٠٩.

(٣٥) يذكر الشيخ محمد رضا النعماني ما نصه «بلغه (أي الصدر) أن أحد أبناء المراجع =

وكان الشهيد الصدر الثاني يبذل الجهود لظهور المرجعية بمظهر الصف الواحد، وأعلن في عدة مناسبات عن سياسة «اليد الممدودة للمصافحة»[٣٦]، وهذا ينسجم مع ما يطرحه بأنه قائد للأمة، والحوزة جزء من الأمة. كما إن الحوزة ليست على علاقة وفاق مع السلطة، وكلها مهددة بالاستئصال كما حدث للمراجع والعلماء الذين استشهدوا على يد السلطة أمثال (السيد محمد باقر الصدر، عائلة الحكيم، الشيخ البروجردي والشيخ الغروي).

وقد كانت لسياسته استجابة واضحة في الوسط الحوزوي حيث تقلصت الانتقادات التي كان يواجهها إلى حد كبير في أيامه الأخيرة. ففي تصريح له قال «الحق إني لم أسمع نقداً جارحاً لا من المراجع ولا من المرشحين للمرجعية، وإنهم سكتوا وهدأوا، ربما تصدر أو صدرت بعض كلمات من ممثليهم ووكلائهم»[٣٧]. يبدو أن انتقادات الصدر الثاني للمرجعيات المعاصرة له لم تستمر على منوال واحد في الحدة والمستوى كما ظهرت في خطب الجمعة ولقاءاته المسجلة المتداولة، بل خفّت كثيراً في ما بعد بسبب تغير مواقف بعض المرجعيات تجاهه سواء داخل العراق أو خارجه. ففي آخر حديث له قبل شهادته ظهر أن موقفه قد لان كثيراً حين امتدح بعض المراجع لأنهم أيدوا منهجه وأيدوا إقامة صلاة الجمعة لما لها من نتائج

= قال لمدير أمن النجف: ماذا تنتظرون بالصدر، هل تريدونه خمينياً ثانياً في العراق، لماذا لا تعدمونه. فقال الصدر لما بلغه ذلك: غفر الله لك يا فلان، إن قتلوني اليوم، قتلوكم غداً». انظر: المصدر نفسه، ص ١٢٧.

(٣٦) في إحدى خطب الجمعة أعلن الشهيد الصدر الثاني بأن يده ممدودة للسيد محمد سعيد الحكيم. وفي لقاء مسجل قال «أنا على استعداد أن أذهب إليه في هذه الليلة وفي أي ليلة في سبيل المصلحة العامة والإسلام والمذهب». وفي لقاء مسجل ذكر أنه كان يزور السيد علي السيستاني.

(٣٧) السيد محمد صادق الصدر، في حوار مسجل.

إيجابية، فالقضية معتمدة على الفعل ورد الفعل أكثر مما هي قضية أساسية. يقول الصدر الثاني:

«إن انفتاح فقهاء العالم الإسلامي موجود ومبشر بالخير كثيراً في خارج العراق. والأخبار عن ذلك متضافرة ومتواترة إلا من نسبة قليلة. وأما في داخل العراق فالأمر يكاد أن يكون مختلفاً لأن جملة منه كانت متخذة الاتجاه الآخر. لا أريد أن أسميه، لكنهم مقتنعون بأعمالهم وأقوالهم. ولا أشك أن الشيء الذي حصل في الحوزة الثانية أو الحوزة الصامتة (المعارضة له) وأتباعها ووكلائها ينقسم إلى مستويين:

المستوى الأول: أنه في الإمكان التأكيد أن تلك الحوزة نسبة السكوت والاعتراض فيها، على الاتجاه الذي سرنا فيه، كانت أكثر، ولكنها بحمد الله وبفضل الله قلّت حينما ازدادت مظاهر المصالح الاجتماعية والإسلامية في المجتمع، وتحمس الناس إلى قبول جملة من الأمور من الفتاوى وأشكال طاعة الله سبحانه وتعالى، فقد قلّ الاعتراض جداً إلى حد يكاد أن يكون منعدماً إلا من نسبة قليلة جداً.

المستوى الثاني: حصل عندهم (جزاهم الله خيراً) أكثر من ذلك. أستطيع أن أقول إنهم تقدموا إلى الأمام خطوة معتداً بها، ولعل أهم من اتجه هذا الاتجاه هو جناب السيد حسين بحر العلوم (أدام الله عزه)، في أقواله وفي فتاواه. في استفتاء واحد أو أكثر من واحد، ينصر (صلاة) الجمعة وينصر السيد محمد الصدر. أنا أعتبره عملاً شجاعاً أولاً، وشكوراً ثانياً. ويدل على شعوره بالمصلحة العامة، وشعوره أن هذه المصلحة العامة ليست قائمة بفرد، وليست قائمة بمنطقة، وإنما هي ضد العدو المشترك في العالم الذي يكيد لنا أنواع الكيد. في الحقيقة، التسالم والأخوّة والتراضي بيننا في داخل الحوزة

من أهم الأساليب والأوضاع التي يمكننا أن نواجه بها هذا الزخم الضخم الذي يأتي ضدنا من العالم الغربي وأذنابه»[٣٨].

رابعاً: مقومات العلاقة مع الجماهير في المشروع الصدري

بعد أن استكمل الصدر متطلبات مشروعه التأسيسي عبر ترتيب وضعه الحوزوي والمرجعي، وبعد أن رسم طبيعة العلاقة مع السلطة وفق المسار الذي حدده هو، بدأ بالعمل في خلق آلية للعلاقة بينه وبين جماهير الأمة لأنها هي المعنية أولاً بالخطاب المرجعي، وهي مادة المشروع ولبناته الأساسية. فمن دون الأمة لن يكون هناك مشروع تغييري أو يحدث أي تغيير حقيقي مبرمج. وهذه العلاقة تستلزم تحشيد الإمكانات المتوفرة والكامنة في الجماهير، وتهيئة الظروف الموضوعية اللازمة لإنجاح المشروع. وقد تمثلت معالم هذه العلاقة بما يلي:

١ ـ وكلاء من الشباب الجامعي

اهتم الصدر الثاني كثيراً ببناء جهاز مرجعي متطور قادر على مواكبة أفكاره ونشاطاته. وركز على تربية طلابه واختيار وكلائه من بين الطالب الجامعي المثقف، حيث إن الكثير من وكلائه من خريجي الجامعات في أقسام اللغات والهندسة والعلوم الإنسانية. إن الخلفية الأكاديمية تجعل الوكيل أكثر فهماً لواقع المجتمع وتحدياته ومشاكله. كما ركز الشهيد الصدر الثاني على أن يكون وكلاؤه على درجة معقولة من الثقافة الاجتماعية والإنسانية العامة. وكانوا أغلبهم من فئة الشباب الذين يشكلون جزءاً حيوياً من شروط التفاعل مع

(٣٨) «حوار هام للشهيد الصدر الثاني قبل شهادته بأيام،» **نشرة الجمعة** (قم)، العدد ٨ (كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٠)، لم يذكر تاريخ الحوار.

أجيال الأمة الجديدة لصناعة المستقبل[٣٩]. وكان يحرص أن يكون الوكيل من أبناء المنطقة نفسها، يخاطب كل منهم قومه ومدينته باللغة التي يعرفونها، ولتكون دائرة التأثير أمضى وأوسع[٤٠].

إن وكلاء المرجع هم أذرعه التي يتحرك بها داخل المجتمع، وهم مجسّاته لنقل ما يدور في المجتمع من مشاكل وتحديات، وهم قنواته الأمينة في الاتصال بأبناء الأمة في كل مدينة وأقصى قرية عراقية. لذلك حرص على تربيتهم ونزاهتهم، كي يكونوا جنوداً أمناء للقائد، وليسوا موظفين ينتظرون الحقوق والرواتب والامتيازات. فكان يحرص على أن لا يعطي وكالة لشخص لديه وكالة من مرجع آخر. وكان يحدد الوكالات بفترات معينة كي يراقب عمل الوكيل، ثم يقرر تمديدها أو سحبها. وشدّد على الخطباء وأئمة الجمعة الاهتمام، في خطبهم، بقضايا المجتمع المخاطب ومشاكله فضلاً عن مشاكل المسلمين في العالم[٤١].

وكان يعدّهم للمواجهة الحاسمة في يوم ما حين قال يوماً: أعدوا أكفانكم، في إشارة إلى التحوّل الدراماتيكي الذي سيواجهه مشروعه. وقد قدم أولئك الوكلاء تضحيات جسيمة حيث استشهد بعضهم قبل استشهاده وبعده. وكان تأثيرهم واضحاً في تلك الجموع الحاشدة التي استطاعوا أن يجعلوها تتبنى الإسلام وتنفيذ شعائره والالتزام بتوصيات وتوجيهات المرجع في جو يسوده الخوف والقمع. وقد استمر بعضهم في أداء صلاة الجمعة حتى بعد استشهاد السيد محمد الصدر.

---

(٣٩) رؤوف، **مرجعية الميدان**، ص ١٦٠.

(٤٠) مختار الأسدي، **الصدر الثاني: الشاهد والشهيد** (قم: مؤسسة الأعراف، ١٩٩٩)، ص ٦٣.

(٤١) رؤوف، المصدر نفسه، ص ١٦٠ ـ ١٦١.

٢ ـ الفراغ القيادي في العراق

أدرك السيد الصدر أن الشعب العراقي يعاني فراغاً قيادياً واضحاً، والشعب العراقي بحاجة إلى رمز سياسي يقود تحركه، يثق به، فإذا ترشحت قيادة علمائية واضحة ومرجعية متحركة فهذا أفضل، مرجعية حاضرة في الأمة، تراها وتسمعها، تخاطبها وتسألها، تبثها همومها وتتلقى توصياتها. وهذا غير متوفر في الوضع المرجعي التقليدي. لقد كان الصدر يهدف إلى بناء «مرجعية منفتحة تحمل هموم المسلمين وتحمل أعباء ومشاكل المسلمين وتخاطب الشارع مباشرة»[٤٢]. فركز على بناء علاقة وطيدة بالأمة إذ من دون هذه العلاقة الوثيقة بين المرجعية والأمة يبقى الخلل قائماً في الجانبين. فإما تتحول المرجعية إلى مؤسسة فتوى وتفقد صفة القيادية، أو أن يتحول المجتمع إلى مجرد أفراد مشتتين.

لقد اختزن الصدر تجربة عَلَمين من أعلام المرجعية الدينية **الأول**: السيد محمد باقر الصدر في مدرسته الأصولية وتجديده في الفقه عبر مؤلفات عديدة، ودعوته لإنشاء المرجعية الرشيدة التي أراد بها أن تصبح المرجعية مؤسسة قيادية منظمة تقود الأمة وتشرف على رعايتها فكرياً وسياسياً واجتماعياً. لقد كان من طلابه المقربين، فاستوعب مشروعه التغييري وتجاربه ونظرياته فجاءت بعض بحوثه وكتاباته بما يسمى بالفقه العملي والفقه الاجتماعي. و**الثاني** هو الإمام الخميني، وهو أستاذه أيضاً، في مدرسته الجماهيرية الثورية حيث اعتمد في تحركه على جماهير الأمة، منفتحاً عليها، سواء في مرحلة المواجهة مع النظام الطاغوتي أو بعد انتصار الثورة وتأسيس

---

(٤٢) السيد محمد صادق الصدر، من لقاء صحفي بالفيديو، انظر: المصدر نفسه، ص ٣٢٣.

الجمهورية الإسلامية. وكلا المرجعين احتلا مكانتهما في نفوس أتباعهما وأنصارهما وجماهير الأمة في العراق وإيران.

إن القيادة تقوم بالدور الرئيسي في إقناع الجماهير بالأفكار والأهداف التي تصبو إليها. ومن خلال علاقتها بها تستطيع مقاومة كل الصعوبات والعراقيل التي توضع أمامها. وبفضل مؤازرة الأمة للمرجعية تتمكن الأخيرة من الاستمرار في جهادها ومواقفها وصلابتها، حتى تقودها إلى النصر والنجاة. وقد تمكن الصدر الثاني من بناء قيادة مرجعية ـ جماهيرية سرعان ما انضوى تحتها ملايين العراقيين الذي لبّوا نداءاتها سواء في أداء صلاة الجمعة أو تنفيذاً لفتاواها بصدد قضايا معينة. لقد استطاع أن يحرك في الأمة كل مواطن القوة والصمود، ليحوّل الشارع العراقي إلى شارع تنبض حركته بالإسلام والمفاهيم الإسلامية. وكان يلمّح بأنه هو نفسه الإمام القائد للأمة طالما باستطاعته إقامة صلاة الجمعة[٤٣].

ومن خلال تربية فريدة للجماهير، عبر الفتاوى والتوصيات، تارة بالحركة وتارة بالتوقف، استطاع الصدر الثاني أن يمسك بقياد الأمة ويحرّكها بالوجهة التي يريدها. وهذا أمر غير متعارف عليه في المسار التاريخي للشعب للعراقي المعروف بكثرة جدله وتبرمه، ولكن الصدر الثاني، تمكن وخلال فترة قياسية، أن يركز مفاهيم الانقياد والطاعة في نفوس الجماهير. وهذا أمر حيوي طالما أنه مقبل على حركة تغييرية كبيرة، ومواجهة حاسمة ومصيرية مع السلطة الحاكمة. وقد صرح الصدر الثاني بهذه الحقيقة في إحدى خطبه معلقاً على حادثة إلغاء الزيارة الشعبانية إلى كربلاء من قبل الدولة، حيث قال:

---

(٤٣) صرح السيد محمد الصدر «إن صلاة الجمعة وإن كانت واجباً تخييرياً إلا أنه بوجود الإمام القائد للأمة تكون واجبة» فلما كان قد أقامها هو بنفسه واعتبرها واجبة، يمكن القول إنه قصد نفسه بـ «الإمام القائد للأمة». انظر: خطبة صلاة الجمعة الرقم (١).

«هذه بادرة حسنة كونكم أثبتم بالتجربة أن الحوزة إذا قالت لكم تكلّموا تتكلمون، وإذا قالت لكم اسكتوا تسكتون. وأنتم بعون الله أثبتّم أنكم على مستوى المسؤولية والطاعة. وبفضل الله وحسن توفيقه أنه بالرغم من أن السير إلى كربلاء لم يتم بالشكل الموسع الذي تمنيناه له، إلا أنه أثمر ثمرته الطيبة وأنتج نتائجه الحسنة في سبيل الله سبحانه ونصرة دينه من حيث إنه أظهر تكاتف الشعب العراقي كله وخاصة في الوسط والجنوب على العمل في سبيل الله والتضحية في سبيل الدين»[٤٤].

وكانت أحاديث الصدر وخطبه تسجل على أشرطة كاسيت (صوت وفيديو) ويجري تكثيرها وتوزيعها لتصل أكبر عدد من الجماهير العراقية. ومن المعلوم أن شريط الكاسيت يسهل تداوله ونشره، إضافة إلى أنه يجعل السامع أكثر قرباً والتصاقاً بالقائد. كما إن الخطاب الصوتي عملي أكثر من الكتب خاصة للذين لا يستطيعون القراءة أو ذوي المستوى التعليمي المنخفض. وهذا أسلوب لم تعتدْه الجماهير ولم يمارسه المراجع من قبل، حيث اقتصر على خطباء المجالس الحسينية، في حين أنها تستمع اليوم إلى مرجع يخاطبها مباشرة، فتشعر بالانتماء إليه وإلى فكره ومنهجه.

٣ ـ صلاة الجمعة: مدرسة مفتوحة للوعي

أدرك السيد الصدر أن الخطاب الجماهيري والحضور المرجعي والعلمائي بحاجة إلى آلية مستمرة، وأرضية تستمد مقومات قوتها من العقيدة الإسلامية قادرة على جذب الناس، كما لا تستفز السلطات، فلم يجد أفضل من بعث الحياة في شعيرة إسلامية

---

(٤٤) من خطبة للسيد محمد صادق الصدر، نقلاً عن: **نشرة المهاجر** (الجمعية الإسلامية العراقية في ألمانيا)، العدد ١٢ (كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٠)، ص ١١.

متوقفة في الوسط الشيعي العراقي، وهي صلاة الجمعة[٤٥]. فاجتماع الناس يصبح أمراً عادياً لا تستطيع السلطة منعه لأنهم يريدون إقامة صلاة الجمعة، وهو أمر عادي يقام في جميع المدن التي يقطنها أهل السنة في العراق. كما تقام في جميع أنحاء العالم الإسلامي، وتقام أيضاً في البلدان ذات الكثافة الشيعية كلبنان وإيران، أو أقليات شيعية كبيرة كما في الهند والباكستان. إن إقامة صلاة الجمعة ليست بالأمر السهل في الشارع العراقي، إن التجمع الجماهيري بحد ذاته رفض للنظام واستفزاز لسلطته. لقد استطاع الصدر أن يخلق قاعدة كبيرة من الأمة تمكن من استدعائها إلى الشارع لتؤكد الحضور الإسلامي المستمر في الشارع العراقي. وتعتبر صلاة الجمعة استنفاراً أسبوعياً للشارع العراقي لم يعتدْه من قبل، واجتماعاً جماهيرياً يختزن التماسك الاجتماعي وشعور الفرد بأنه منتمٍ إلى شعب عريق وقوي، يعبّر عن مشاعره ويعزز ثقته بنفسه من خلال عملية تواصل وبناء فكري وتثقيف سياسي. لقد أراد الصدر أن تمثّل

---

(٤٥) من الغريب أن الرسالة العملية للسيد محمد الصدر المسماة **الصراط القويم** تخلو من فصل خاص بصلاة الجمعة. وهو أمر درج عليه بعض المراجع أمثال المرجع الراحل السيد الخوئي وكذلك آية الله العظمى السيد السيستاني حيث خلت من فصل لصلاة الجمعة في رسالتهما العملية، انظر: أبو القاسم الخوئي، **منهاج الصالحين**، ط ٢٢ (بيروت: دار الزهراء، [د. ت.])، وعلي السيستاني، **منهاج الصالحين**، ط ٤ (الكويت: [د. ن.]، ١٩٩٦). أما آية الله العظمى السيد محمد سعيد الحكيم فقد خصص لها فصلاً، واعتبر إقامة صلاة الجمعة واجباً تخييرياً، أي يتخير المكلف بين إقامة الجمعة أو صلاة الظهر. انظر: محمد سعيد الحكيم، **الأحكام الفقهية**، ط ٢ ([د. م.: د. ن.]، ١٩٩٧)، ص ١٢٢.

ويرى آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله أنه «في حالة عدم توفر السلطان العادل فصلاة الجمعة واجبة أيضاً، ولكنها تجب على وجه التخيير ابتداءً، وتجب على وجه الحتم انتهاءً.» انظر: محمد حسين فضل الله، **فقه الشريعة** (بيروت: دار الملاك، ١٩٩٩)، ص ٤٢٨. وأقيمت صلاة الجمعة في العراق عام ١٩٤٩ في الكاظمية من قبل الإمام الشيخ محمد الخالصي (توفي عام ١٩٦٣) بعد عودته من منفاه في إيران، ثم أقامها ولده الشيخ مهدي الخالصي في بداية الستينيات.

صلاة الجمعة جسراً تواصلياً بين المرجع والأمة من خلال لقاء دوري شمولي عام، وليس لقاءً خاصاً شخصياً مع المرجع. فقد لا يتسنّى للكثير من الناس الذين لم تُتِح لهم الظروف الالتقاء بالمرجع، أو أنهم لا يعرفون آليات الوصول إليه، وبالتالي فهم يتواصلون عبر أدبياته وفتاواه فقط من دون أن يعيشوا تصوراته وجهاً لوجه، ومن دون أن يعيش تصوراتهم بصورة مباشرة(٤٦).

وقد قام الشهيد الصدر الثاني بتأصيل فقهي لصلاة الجمعة في خطبه حيث ذكر «أن صلاة الجمعة وإن كانت واجباً تخييرياً إلا أنه وبوجود الإمام القائد للأمة تكون واجبة، ولقد كانت هذه النقطة محطّ خلاف بين الفقهاء. كان الرسول يصلي صلاة الجمعة ويحث الناس على إقامتها. فلماذا لا يقيم بعض الناس هذه الشعيرة». ويتساءل: لماذا لا يقيم العلماء صلاة الجمعة؟ فيجيب بنقد لاذع على هذا السؤال موجهاً نقده إلى المراجع الآخرين قائلاً:

(١) لا يمكن أن نقول إنها لم تقم أصلاً وبتاتاً في تاريخ الإسلام والتشيع.

(٢) فإن قلنا أنها لم تكن مقامة من قبل علمائنا، فإننا يمكن أن نحملهم على محمل الصحة لأنها واجب تخيري، فيقيمون صلاة الظهر كون صلاة الجمعة تتطلب تحضيراً (ويصلون الظهر ويديرون ظهورهم).

(٣) لا يقيمونها حتى لا تحصل مفسدة!! وهي أن أحد العلماء إذا أقامها ولم يُقمها علماء آخرون، أو لم يحضروا فيها، فإن هذا خلاف بين العلماء. علماً أن هذا الخلاف موجود بين العلماء منذ الأزل.

---

(٤٦) رؤوف، **مرجعية الميدان**، ص ١٤٨.

(٤) إن صلاة الجمعة والعيدين فيهما خطبة. وهذا ما لا يطيقه العلماء في الحوزة. وليست عادة لديهم، أي غير معتادين على ذلك. وقليل منهم من يستطيع أن يخطب أو يعطي الخطبة حقها. ومن تعوّد منهم على الخطبة، فإنه تعوّد الخطابة الحسينية. وهذا لا يعوّل عليه في إلقاء خطبة الجمعة التي يجب أن تكون موجهة إلى الشارع والعامة، في حين أن الخطيب الحسيني لا يمتلك ذلك ـ نعم جزاهم الله خير جزاء المحسنين ـ ولكن هذا اتجاه وذلك اتجاه.

(٥) اختلاف مستوى المجتهد أو المرجع عن مستوى الناس فهو لا يجد سبيلاً لإفهامهم، فهو معتاد على لغة المكاسب والفقه فلا يستطيع أن يتنازل ليتكلم بلغة الشارع مع الناس، إذا افترضنا أن هؤلاء قد قبلوا بالنزول إلى العامة والناس. وإنه لمن العرف والمشهور أن الذي يقيم صلاة الركعتين (الجمعة) يجب أن يقوم للناس خطيباً. فهذا غير جائز لأن نص هذا القائم (خطبة المجتهد) غير مفهوم للناس بمعنى من المعاني»[٤٧].

امتازت خطب الجمع بالبساطة مع عدم الإخلال بعمق المفاهيم التي يطرحها، كأن يستخدم لغة الشارع المبسطة بعيداً عن لغة أساتذة الحوزة ومصطلحاتها. إن معظم المراجع يجد صعوبة في مخاطبة الجماهير بأسلوب وخطاب تفهمه لأنهم اعتادوا على التعامل مع طلابهم ودروسهم الفقهية العميقة. والمتابع لخطب الجمعة للشهيد الصدر الثاني يلاحظ أنه كان يعاني صعوبة بالغة في إتقان هذا الفن، فالمرجع غير الخطيب. وبمقارنة عاجلة بين الحوارات التي أجريت معه والخطب التي ألقاها وبين دروسه ومحاضراته أمام

(٤٧) المصدر نفسه، ص ١٥٤ ـ ١٥٥، والخطبة الرقم (٣)، في: محمد صادق الصدر، **مجموعة خطب الجمعة.**

طلبته يمكن اكتشاف المسافة الشاسعة في الأساليب، أي أساليب الطرح والوصول إلى المطالب. ويمكن اعتبار خطب السيد بأنها من السهل الممتنع، فهو يستخدم اللغة العربية القريبة من فهم الناس، ولو بجهد بالغ ومكتوب غالباً، إذ يحاول إدخال المصطلحات الشعبية الخفيفة واللغة السهلة المفهومة وأحياناً الدارجة ولو بعد إعدادها وتنقيحها[٤٨]. وكان الصدر الثاني يفتتح خطبه عادة بدعاء مأثور من أدعية الصحيفة السجادية أو مفاتيح الجنان أو غيرها من كتب الأدعية المعروفة، ثم يعرّج بأسلوب سلس يفهمه عموم المستمعين من جميع طبقات الأمة، ويدخل في صلب الموضوع الذي يريد طرحه، بلا مقدمات أو ديباجات[٤٩].

وقد استخدم الشهيد الصدر الثاني عدة أساليب ومفردات تساهم في تعبئة الجماهير من خلال الإيماءات والشعارات التي يطلب من الجمهور ترديدها معه مما يعزز حالة الانتماء الجماهيري إلى المرجع وتمسكاً به، لأنهم يتفاعلون معه عبر المشهد البصري والاستجابة السمعية لخطبه. وكان هتافات جديدة لم يسمع بها الشارع العراقي مثل (نعم نعم للإسلام) و(نعم نعم للمذهب) و(نعم نعم للجمعة)[٥٠] مقابل شعارات (لا شيعة بعد اليوم) الذي رفعته السلطة بعد الانتفاضة، وشعار آخر جاء فيه (كلا.. كلا.. للباطل، كلا.. كلا.. لأمريكا، كلا.. كلا.. لإسرائيل، كلا.. كلا.. للاستعمار، كلا.. كلا.. للاستكبار، كلا.. كلا.. يا شيطان)[٥١]. وهي محاولة

---

(٤٨) الأسدي، **الصدر الثاني: الشاهد والشهيد**، ص ٦١.

(٤٩) المصدر نفسه، ص ٦٧.

(٥٠) من خطبة صلاة الجمعة رقم (٣٥) في ٢١ شعبان ١٤١٩هـ. انظر: **نشرة الجمعة**، العدد ١ (حزيران/ يونيو ١٩٩٩).

(٥١) من خطبة صلاة الجمعة رقم (٣٦) في ٦ رمضان ١٤١٩هـ.

ذكية ومقصودة مقابل شعارات النظام التي كانت ترفع للاستهلاك المحلي أو البيعة المزيفة مثل (نعم نعم للقائد صدّام حسين) و(بالروح بالدم نفديك يا صدّام) و(صدّام اسمك هز أمريكا).

ولتركيز موقع الحوزة في أذهان الجماهير كان يردد بعض الشعارات مثل (هذه.. هذه حوزتنا، هذه.. هذه عزتنا، هي.. هي قائدنا، هي.. أملنا)، وقوله في شعار آخر (نعم، نعم للحوزة). كما ابتكر مناداة جديدة للصلاة على محمد وآل محمد حيث يطلب من الجماهير في صلاة الجمعة ذلك بقوله (على حب الحوزة.. صلوا على محمد وآل محمد). وكان يلقي أبياتاً من الشعر ومدائح للمعصومين (عليهم السلام). وطالب في آخر خطبة له «بإطلاق سراح جميع المعتقلين من فضلاء الحوزة والمؤمنين فوراً» ويطلب من المصلين ترديد المطالبة بقولهم (نريد، فوراً، يا الله) ثلاث مرات[٥٢].

وكان كثيراً ما يوجه انتقاداته للسلطة ويستخدم أساليب غير مباشرة أحياناً بشكل يفهمها السامع، فتارة يوجه نقده إلى السلطة معبّراً عنها بـ (إسرائيل) حيث يصرح في إحدى خطبه «لو اجتمعت الحوزة مع الأمة لهزمنا إسرائيل، ناهيك عن غيرها، اللهم إني قد بلّغت»[٥٣]. وفي خطبة أخرى يقول «لكان في إمكان الحوزة والمذهب، بغضّ النظر عن السلاح طبعاً (ونحن عزّل من السلاح والحمد لله)، لكان في إمكاننا مجابهة إسرائيل بنفسها بما يحصل فينا من تكاتف وتضامن وعزة بالله»[٥٤] ومعروف ما يقصده الصدر

(٥٢) من مقال للشيخ أحمد المالكي، إمام جمعة حي الحسين في البصرة، انظر: **نشرة الجمعة**، العدد ٥ (تشرين الأول/أكتوبر ١٩٩٩).

(٥٣) **الموقف** (دمشق)، ٤/٣/١٩٩٩.

(٥٤) السيد محمد الصدر، خطبة الجمعة في ٥ جمادى الأولى ١٤١٩ هـ.

بإسرائيل أي النظام العراقي، إذ إن الحوزة والشعب العراقي ليسا في صراع مباشر مع إسرائيل بل مع النظام. ويكاد يفشي باسم النظام حين يتحدث عن موقف النظام بمنع صلاة الجمعة في شوارع الكوفة، يعبّر عن النظام بإسرائيل التي قتلت الحسين (عليه السلام) حيث يقول «لماذا الصلاة في الشارع في البصرة والعمارة مسموحة وفي الكوفة ممنوعة؟ نحن لا نقبل بذلك فللحسين قتلة كثيرون، في كل جيل وفي الأجيال القادمة، لقد قتل الحسين (عليه السلام) الاستعمار المسيحي الغربي أيضاً والجلاوزة الموجودون في إسرائيل أيضاً قتلوا الحسين (عليه السلام) (وما أكدر أحجي)[٥٥]. وواضح أن إسرائيل لم تكن موجودة في كربلاء بل يريد السيد أن يزيداً الذي قتل الحسين (عليه السلام) ما زال يقتل أبناءه اليوم متمثلاً بصدام وجلاوزته، والعبارة الأخيرة (ما أكدر أحجي) رسالة للجماهير إلى قراءة ما بين السطور في عباراته الآنفة الذكر.

كما إن اختياره لموقع إقامة صلاة الجمعة أي في مسجد الكوفة له دلالات مكانية وتاريخية، حيث المحراب الذي سقط فيه أمير المؤمنين علي (عليه السلام) شهيداً خاصة وأن الصدر كان يرتدي كفنه أثناء خطبة صلاة الجمعة. وهو إيحاء ضمني أنه كان يسير في الطريق نفسه الذي سار فيه جده أمير المؤمنين (عليه السلام)، ويصلي الصدر في المحراب الذي استشهد فيه. كما إن مسجد الكوفة من أكبر مساجد العراق، ويستوعب عشرات الالآف من المصلين. وسرعان ما كان يمتلئ ليفترش المصلون الشوارع والحدائق المحيطة به حتى صارت صلاة مليونية. وهذا الرقم ليس من السهل بلوغه خاصة إذا علمنا أن السلطة كانت تضع العراقيل، حيث تغلق

---

(٥٥) بمعنى لا أقدر أن أتكلم. راجع: السيد محمد الصدر، خطبة الجمعة الرقم (٤).

يوم الجمعة الطرق التي تصل الكوفة ببقية المدن العراقية. وهي أكبر صلاة جماعة في تاريخ العراق كله. وقد أقلق هذا التعاطف الجماهيري السلطة إذ باتت تشعر بالخطر الجدي، سيما وأن هذه الحشود الضخمة يمكنها أن تشكل قوة ثورية كامنة سرعان ما تنطلق من عقالها بإشارة من هذا المرجع، لذلك سعت كل جهدها لإيقاف شعائر صلاة الجمعة. ولما رفض الصدر الثاني ذلك، اتخذ النظام قراراً بتصفيته بأي ثمن.

٤ ـ بناء جيل ما بعد الانتفاضة

انفتح الشهيد الصدر على جيل الانتفاضة الشعبانية، هذا الجيل الذي قام بأعظم حركة سياسية شعبية في تاريخ العراق المعاصر حين تمكن من إسقاط سلطة النظام في ١٤ محافظة عراقية لمدة ثلاثة أسابيع. ورغم أن الصدر نفسه تعرّض للاعتقال والتعذيب بسبب إصداره بياناً شديد اللهجة مؤيداً للانتفاضة، إلّا أن ذلك لم يمنعه من التخطيط للمواجهة واحتمال التعرض للاعتقال أو الإعدام[٥٦]. كما إنه لم يفكر بمغادرة العراق رغم تمكنه من ذلك، شعوراً منه بأهمية الدور الذي سيقوم به، والمسؤولية الجسيمة الملقاة على عاتقه في قيادة الجماهير العراقية. وقد تابع الصدر حجم الفعل الجماهيري والتلاحم والحماسة في إسقاط مؤسسات النظام، فرأى أن هذا الشعب يختزن طاقات كبيرة بحاجة إلى التعبئة قبل تفجيرها بوجه النظام الحاكم. ورغم الخسائر البشرية الفادحة التي تكبدتها الانتفاضة إلا أن العمل الجماهيري، الذي انطلق بعد سقوط حاجز الخوف من النظام الذي اعتمده النظام أساساً في سطوته

(٥٦) اعتقل السيد محمد الصدر ثلاث مرات، الأولى عام ١٩٧٢، والثانية عام ١٩٧٢ مع ١٥٠ آخرين، والثالثة عام ١٩٩١ مع ١٠٦ من العلماء بعد الانتفاضة.

واستمراريته، جعل الصدر يفكر في التركيز على الخطاب الجماهيري القادر على تعبئة أكبر عدد من الناس في أقل فترة زمنية، فقد كان في سباق مع الزمن لأن فترة سكوت السلطة عنه لن تستمر طويلاً. لقد استهدف الصدر بناء جيل إسلامي جديد يتميز بملامح جديدة عبر تطوير أساليب عمل جديدة. وأهم ما يتميز به هذا الجيل هو الحضور الجماهيري في الشارع وليس في أقبية تحت الأرض. جيل يتحرك ويتجمع ويرفع شعارات في مراسم الجمعة والزيارات. جيل ميداني مثل قائده، جيل إسلامي مسيّس، وإن لم يكن حركياً. ولا يعني ذلك أن الصدر الثاني لم يتعامل مع العمل التنظيمي، بل كانت له اتصالات ولقاءات بالمجاهدين، ويدعمهم مالياً ومعنوياً، لكن ظروفه الخاصة منعته من تشكيل تنظيم حركي معيّن، فالتنظيم ليس غاية بل أسلوب في العمل يوجد حيث توجد الحاجة إليه وحيث توجد شروطه، وأساليب العمل التغييري كثيرة.

٥ ـ انفتاح على كل الأوساط الاجتماعية

اعتمد الشهيد الصدر الثاني منهجاً تغييرياً يشمل جميع الشرائح الاجتماعية في المجتمع العراقي، فلم يقتصر خطابه الجماهيري على أوساط الحوزويين أو المتدينين أو الحاضرين في صلاة الجمعة ـ رغم تنوّع انتماءاتهم الاجتماعية ـ بل استطاع بفهم عميق بمكونات مختلف الطبقات الاجتماعية ومتابعة دقيقة لنمط تفكيرها، أن يخاطبها بالأسلوب الذي تفهمه، بما يقربها من الالتزام بالإسلام وتعاليمه. وخصص لها جزءاً من خطبه رغم كثرة المطالب والقضايا الملحّة التي كان عليه طرحها، وخاصة العقائدية والأخلاقية والسياسية. ويتضمن الانفتاح التسديد ونقد الظواهر السلبية في ذلك الوسط، وترشيده من أجل التكامل باتجاه الأهداف الإسلامية إضافة إلى الرعاية والاهتمام بمصالحه. ومن هذه الشرائح:

أ ـ الوسط الحوزوي: أراد السيد الصدر إصلاح الوسط الحوزوي قدر الإمكان كي يتحمل هذا الوسط مسؤوليته العظيمة وتأثيره في المجتمع. ولكي يتمكن من أداء رسالته يجب أن يتخلص من بعض الأعراف والتقاليد التي تشكل حاجزاً بين الحوزة وجماهير الأمة. ولذلك انتقد بعض المظاهر السائدة في الوسط الحوزوي مثل تقبيل الأيدي، حيث خصص لها قسماً من خطبة الجمعة. فبعد أن ناقش القضية اجتماعياً والدوافع وراءها، اعتبر هذه الظاهرة مذلة للمؤمن، ويضيف «قد ورد أنه لا يجوز للمؤمن أن يُذلّ نفسه، كما إنه في نفس الوقت لا يجوز له أن يعزّ نفسه بالعزة الدنيوية، وإنما المؤمن فقط عزيز بعزة الله. فإذا كان الفرد، حتى أخوك في الدين وفي الإيمان، يتوقع منك أن تكرمه أو تحترمه أو تخاطبه بالجمع أو تقبل يده فهو واهم بهذه العزة الوهمية، ومشرك بهذا الشرك الخفي». ويضرب مثلاً بنفسه قبل أن ينصح الآخرين فيقول «إنني حين كنت ولا زلت إلى الآن أسحب يدي عن التقبيل، فكنت شاذاً وغريباً على الحوزة والمجتمع. والأمل قريب إن شاء أن يكون الأمر بالعكس، بحيث يكون من تُقبّل يدُه شاذاً وغريباً، ويكون من الواضح للمؤمنين أنه بذلك يكون طالباً للدنيا والشهرة، فتبتعد عنه الناس»(٥٧). وفي استفتاء حول ظاهرة تقبيل الأيادي يجيب السيد محمد الصدر «لا أقول بالحرمة، وإنما أنه يضرني من الناحية الأخلاقية. توجد في بعض الروايات دلالة على أن الرسول (ﷺ) والأئمة (عليهم السلام) كانوا يسحبون أيديهم عند الطلب وليس الأمر غالباً كما هو الحال مع الأسف». وحول تاريخية هذه الظاهرة يرى السيد الصدر الثاني «أنه من الواضح أن عهد الغيبة الصغرى كان خالياً من هذه الظاهرة بالتأكيد. كما إن رجال الدين من سائر المذاهب أقل التزاماً بذلك منا».

---

(٥٧) السيد محمد الصدر، خطبة الجمعة في ٥ جمادى الأولى ١٤١٩هـ.

وينتقد بعض التقاليد الحوزوية مثل الإصرار على الجلوس في صدر المجلس ومضايقة الجالسين والقول (يسع . . يسع) للداخلين، والمناداة بالصلوات عند دخول أحد العلماء، حيث اعتبر ذلك من الأنانية والتكبر وحب النفس[٥٨]. وانتقد بعض السلوكيات غير الصحيحة مثل مخاطبة الفرد بضمير الجمع «بقوله جئتم وذهبتم». ولا يجوز في نظر الحوزوي مخاطبته بضمير الفرد، مع أننا نخاطب الله بضمير الفرد، كقوله في بعض الأدعية (اللهم إنك قلت في كتابك المنزل) وفي القرآن الكريم ﴿**تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علّام الغيوب**﴾[٥٩].

ونخاطب المعصومين (عليهم السلام) بضمير الفرد. وسعى إلى تخليص الحوزة من كثرة التعطيلات التي لا مبرر لها. وكان أول مرجع يضع لوحة إعلانات في مكتبه، كما استخدم الكومبيوتر وشجع على استعمال التطورات التكنولوجية، فكان أن افتتح له صفحة على شبكة الإنترنت (من لبنان).

ب ـ **سدنة العتبات المقدسة**: من المفارقة أن إدارة الأوقاف الشيعية كانت بيد وزارة الأوقاف العراقية ذات الصبغة السنية. ورغم أن الأضرحة والمراقد الشيعية تضم مؤسسات ضخمة ومبانيَ وممتلكات عديدة وموظفين كثيرين إلّا أن المرجعية كانت بعيدة عن الإشراف عليها أو التدخل في شؤونها. وتستولي وزارة الأوقاف على واردات الأوقاف الشيعية من نذور وهدايا، كما تستوفي الأوقاف الحكومية رسوماً على المقابر الشيعية. وأكد قانون رقم (١٣٠) لسنة ١٩٦٤ أن الأموال الموروثة والموهوبة إلى جهة رسمية أو شبه رسمية

(٥٨) السيد محمد الصدر، خطبة الجمعة الرقم (٢).

(٥٩) **القرآن الكريم**، «سورة المائدة،» الآية ١١٦.

تعفى من ضريبة التركات، مما يعني أن الأملاك الموهوبة للمؤسسات الشيعية يدفع عنها ضريبة التركات التي تصل إلى أكثر من ٣٥ بالمئة لأن المؤسسات السنية فقط هي التي تعتبر رسمية أو شبه رسمية. ورغم حصولها على عائدات الأوقاف الشيعية إلا أن وزارة الأوقاف غير معنية بخدمات وصيانة المساجد الشيعية، حيث تلتزم وزارة الأوقاف العراقية بدفع أجور الماء والكهرباء وأجور الخدمات ورواتب المؤذنين والعاملين للمساجد السنية فقط، بينما يقوم المصلون الشيعة بتحمل نفقات مساجدهم. ولا تبني الدولة أي مسجد في المدن الشيعية بل تبني مساجد للسنة وترسل موظفاً دينياً سنياً كإمام للجامع، وتدفع له راتباً[٦٠]. كما تقوم وزارة الأوقاف بتعيين موظفي العتبات المقدسة أو ما يسمى بـ (الكليدار). وغالباً ما تتوارث هذه الوظيفة عائلات محددة، وتتصرف بأموال النذورات والهدايا.

لقد تعامل الصدر مع هذه الظاهرة الغريبة وأراد إصلاح أمور سدنة العتبات المقدسة لما لهم اتصال مباشر بالزائرين وبالمجتمع، فاعتبر السادن «مرجع ديني لكن مرجعيته تختص في الصحن والحضرة، وليست عامة لكل المجتمع. وهذا يعني التحلي بالكثير من الصفات التي يفتقدها السدنة ومن أهمها التفقه في الدين وبالفضل وبالفهم. ويحرّم أن يكون الجاهل سادناً لأن السدانة مع المعصومين مسؤوليتها مسؤولية مباشرة، وكذلك يتصرف بأموال المعصومين وبسمعة المعصومين».

وينتقد سلوك السدنة الذين يعتبرون أنفسهم كأي موظف يعمل في الدولة «بحيث إنه يذهب إلى نزهة في أوروبا والغرب، ويسرح

---

(٦٠) حسن العلوي، **الشيعة والدولة القومية في العراق** (قم: دار الثقافة للطباعة والنشر، ١٩٩٠)، ص ٢٧٨ ـ ٢٨١.

ويمرح، ويأتي مرتدياً هذا الزي. لقد أصبحت هذه الوظيفة مقتصرة على طبقات لا أخلاق لها ولا ميزان لها في الدين حتى إنهم يجتمعون مع السافرات والمغنين». كما يحذرهم من التصرف بالأموال والعائدات دون الوجه الشرعي الصحيح، فيحذرهم بقوله: «أما الأموال التي تصل إليهم فهي بالمليارات، وفي كل يوم تصلهم الأموال والأشياء العينية والحيوانات كالبقر والغنم وغير ذلك. وهي مستورة عن الناس، ولا يعلم بها إلا الله وأهل الاختصاص من عندهم. وكل هذه محرّمة لأنها يجب أن تصل إلى الإمام والمتدينين الشيعة. أما أن يأكلها طبقة معينة من الناس إنما يأكلون في بطونهم ناراً يصلون سعيرها». ويؤكد ضرورة أن تشرف الحوزة والمرجعية الشيعية على هذه الأوقاف فيقول «إن المراقد المقدسة هي مراقد دينية، والمفروض أنها يجب أن تكون تحت إشراف الجهة الدينية المختصة كالحوزة وبالأخص المرجعية، وينبغي أن تكون بل يجب أن تكون، تحت إشراف المرجعية»(٦١).

ج ـ الشباب: يعتبر المجتمع العراقي مجتمعاً شاباً حيث تشير الإحصائيات (١٩٩٩) إلى أن ٤٤ بالمئة هم دون ١٤ عاماً و٥٣ بالمئة بين ١٥ ـ ٦٤ عاماً، و٣ بالمئة فقط فوق ٦٥ عاماً(٦٢). وهذا يشير إلى الدور الهام الذي يلعبه قطاع الشباب في المجتمع العراقي. فكان يهتم بالشباب وتربيتهم واستقبالهم والاتصال بهم. ويسلط الأضواء على المواقف العظيمة للشباب في خطب الجمعة. ففي مناقشته لقضية عدم اهتمام الحوزة العلمية بإرسال مبلّغين إلى

(٦١) رؤوف، **مرجعية الميدان**، ص ١٣٧ ـ ١٣٨ (حاشية)، نقلاً عن: لقاء صحفي مسجل مع السيد محمد الصدر.

(٦٢) الإحصائية مأخوذة من: «The World Factbook 1999-Iraq,» <https://www.cia.gov/library/publications/the-world-factbook/geos/iz.html>.

المناطق الريفية يمتدح دور الشباب الملتزم الواعي بقوله «لولا وجود الشباب المؤمن الواعي الذين يتصدون للذهاب إلى مناطق العشائر وهدايتهم بين حين وآخر، جزاهم الله خير جزاء المحسنين»[٦٣]. كما أولى الشباب المجاهدين وأعضاء الحركات الإسلامية المعارضين للنظام عنايته، حيث «كان يزوّدهم بالفتاوى ويعطيهم الإجازة الشرعية بالأموال، ويشجعهم على العمل في العراق من جهة، وتأييد قطاعات كبيرة من الجماهير بعيدة عن الاتصال المباشر بالسيد نتيجة لوضعهم المعاشي أو الجغرافي أو الأمني، ولكن المجاهدين كانوا هم الأساس في نقل المعلومات والأمور والإرشادات بين السيد والأمة وبالعكس»[٦٤].

وقد أولى السيد الصدر الثاني هذه الشريحة الاجتماعية اهتماماً عبر نقد مصادر الثقافة المنحرفة التي تسوّغ للشباب الانحراف والانحلال الأخلاقي. فوجه نقده إلى الغرب الذي يعتبره مسؤولاً عن نمو بعض المظاهر المنحرفة في مجتمعاتنا فيقول «تسربت إلينا هذه العادات (الملاهي والحانات) عن قصد وعمد من الغرب. ونحن بنفس الوقت نجهل ماذا وراء القصد من ذلك من ذل وعبودية من ناحية، وخروج عن تعاليم ديننا الحنيف من ناحية أخرى». ويؤكد أن إلهاء الفرد بأمور بعيدة عن قضاياه المصيرية وشؤون مجتمعه ودينه يؤدي إلى مسخ المجتمع وابتعاده عن الأبعاد العلمية والدينية والروحية، فينتقد حالة الإفراط في الأنشطة الرياضية بأنها تؤدي إلى «منع التكامل في المجتمع المسلم لأن الفرد في المجتمع المسلم يقضي الوقت كله بلعب الرياضة أو الانشغال في التنقل والسفر

(٦٣) السيد محمد الصدر، خطبة رقم (٢١).

(٦٤) انظر مقالاً للشيخ عبد الحليم الزهيري، في: **الموقف**، ١٨/ ٣/ ١٩٩٩.

لمتابعة أنشطتها، ويبقى الوقت الباقي يقضيه لضرورات حياته وأسرته بحيث لا يبقى له وقت، أو حتى متسع من الوقت يقضيه لبناء جانبه العلمي والديني والروحي». وينصح الشباب بعدم الاستغراق الكامل في الرياضة لأن المسؤوليات الملقاة عليهم كبيرة جداً ولا وقت فيها للرياضة وما يرافقها من انشداد للمباريات وهدر للوقت الثمين، وإعجاب شديد بنجوم الرياضة وخاصة الغربيين، وما تمثله حالة الإعجاب من إسقاطات نفسية وسلوكية. فالمجتمع العراقي يعيش مرحلة تاريخية هامة، مرحلة بناء وتكامل نحو التحرر من السلطة الظالمة باتجاه تحكيم الإسلام وتعاليمه. يخاطب الصدر الشباب فيقول «فالنصيحة الأكيدة لشبابنا الناهض الواعي أن يهتم بنفسه وبرامج مجتمعه، ويسقط أهمية الرياضة والرياضيين عن نظر الاعتبار ويخاف الله سبحانه وتعالى فقط. فإن كل هذه الرعاية والعناية (من قبل الدولة بالرياضة) إنما هي مصيدة له لإدخاله في فخ الشيطان، ويكون حب الرياضة هو حب للمخططات الاستعمارية. ونكون قد أعنّا الاستعمار على بلادنا. فاتقوا الله حق تقاته بالاهتمام بالمشاكل الحقيقية للمجتمع، والامتناع عن الأجرب والجرب الذي يفتك بالمجتمع، فهل أنتم منتهون؟»[٦٥].

د ـ النساء: يبلغ عدد الإناث في العراق ما يزيد عن ١١ مليوناً من مجموع عدد السكان البالغ ٢٢ مليون نسمة[٦٦]. وقد قامت المرأة العراقية بدور مشرّف في المواجهة الطويلة بين الشعب والسلطة. وقد استشهد الكثير من النساء تحت التعذيب، كما حكم

---

(٦٥) السيد محمد الصدر، خطبة رقم (١٣).

(٦٦) تبلغ نسبة الذكور إلى الإناث ١,٠٢، حيث يتركب المجتمع العراقي من ١١,٣٣٨,٠٠٠ ذكراً و١١,٠٨٧,٠٠٠ أنثى، حسب إحصاء عام ١٩٩٩، نقلاً عن: «The World Factbook 1999-Iraq».

على أخريات بالإعدام. وأبرز مثال هي الشهيدة السيدة آمنة الصدر (بنت الهدى) شقيقة المرجع السيد محمد باقر الصدر التي اعتقلت معه واستشهدت معه بعد تعرّضها للتعذيب الوحشي. وكان للمرأة العراقية دور رائع في الانتفاضة من خلال المساندة والدعم والمعنوي والمادي للمجاهدين. ولعلّ حجاب المؤمنات في الشارع العراقي يمثل أقوى تحدّ للسلطة العلمانية التي حاولت القضاء على ظاهرة الحجاب بشتى الأساليب من دون جدوى. لذلك اهتم الشهيد الصدر الثاني بمخاطبة المرأة العراقية من خلال التشديد على المسؤوليات المنوطة بها سواء داخل الأسرة أو خارجها. ففي خطبة خصصها بمناسبة ذكرى الزهراء (عليها السلام) تطرق السيد محمد الصدر إلى النظرة الإسلامية الأصيلة للمرأة منتقداً بعض الأفكار والنظرات المتخلفة المتداولة بين بعض الأوساط الاجتماعية حيث تنظر للمرأة نظرة دونية حيث يقول: «نتحدث عن المرأة والنظرة الشرعية تجاه هذا القسم الهام من المجتمع الذي يمثل حوالي نصف المجتمع. والذي يجب أن لا يهمله الفرد والمجتمع والشريعة أو يسقطه عن نظر الاعتبار كما في بعض النظرات المتلفة أنها كأنما ملحقة بالحيوانات. والقرآن ليس هكذا، إنما احترم الرجال والنساء معاً». وبعد أن يضع الأمور في نصابها يشير الصدر الثاني إلى أهمية تعليم المرأة والتفقه في الدين لأنها هي المربي الحقيقي للأطفال بسبب تفرغها الوظيفي لهم. كما يشدد على قضية الاهتمام بالحجاب ونقد مظاهر السفور ومن يقف وراءها، فينتقد بشدة (السافرات المتجاهرات بالفسق)، ويدعو المرأة المحجبة إلى الكف عن الاختلاط بهن ومصادقتهن دون (أن تأمرها بالمعروف وتنهاها عن المنكر). ويوضح مخاطر السفور على الشباب العازب حين يشاهد السافرات «في المعاهد والكليات والأسواق. ويكون كل واحد منهم كالكبريت من حيث اللهفة الجنسية، ويشتعل لأول احتكاك، وإذا اشتعل ذهب دينه وذهبت

دنياه». كما يحذر المرأة المسلمة من الجري وراء تقليد الأخريات في اقتناء الثياب والكماليات تلبية لدوافع الغيرة، فتبدأ «بالضغط على نفسها وزوجها وأبيها وأمها وأخيها وأختها» من أجل توفير ما تريده تقليداً للأخريات. وينتقد بعض المحجبات اللاتي ينزعن حجابهن في العرس وهنّ متجملات، «يسرن في الشوارع مع الأغاني والتصفيق». كما يشير الصدر الثاني إلى بعض المظاهر غير الإسلامية التي تحدث داخل الأسرة العراقية، فينتقد ظاهرة عدم التقيد بالحجاب داخل المنزل أمام غير المحارم فيقول «ومن ذلك ما هو موجود في كثير من الأسر من السفور في داخل العائلة الواحدة مع أنها قد تكون محرّمة عليه، ولا يجوز له أن يراها. فإذا أصبح فرد منهم أو عدة أفراد متدينين وشاعرين بمسؤولية طاعة الله سبحانه وتعالى، فسوف يقعون في حرج كبير داخل أسرهم من حيث لا يستطيعون مقاطعة العائلة والخروج منها. وأوضح إشكال على ذلك زوجة الأخ حيث يعيش الإخوة مع زوجاتهم في أسرة واحدة، ويأكلون على مائدة واحدة. وكذلك أخت الزوجة، فإن اعتقاد العامي بأنها «ظهورها دون حجاب أمام زوج أختها «حلال مع أنها حرام لا تختلف عن أية أجنبية أخرى. هذا فضلاً عن بنات العم أو بنات الخال أو بنات العمة أو بنات الخالة والعكس»[٦٧].

هـ ـ **الموظفون**: من أجل القضاء على أي مصدر للقوة لدى الشعب، قضى النظام العراقي على غالبية النشاط الاقتصادي الذي يدار من قبل القطاع الخاص، إذ هيمنت الدولة على التجارة الخارجية والداخلية والمعامل والمصانع والشركات والبنوك. وفي عامي ١٩٦٩ و١٩٨٠ وما بعده قام النظام العراقي بتهجير مئات

(٦٧) السيد محمد الصدر، خطبة رقم (٢٢) في ١٩ جمادى الأولى ١٤١٩هـ.

التجار الشيعة إلى إيران بعد مصادرة أموالهم وعقاراتهم ومنشآتهم الصناعية والتجارية، وسلب منهم حتى وثائقهم. وذلك لقطع الطريق أمام أي دعم مادي قد يتلقاه الإسلاميون من أولئك التجار، وتجفيف المصادر المالية للمعارضة الإسلامية.

وبسبب هيمنة الدولة على مجمل النشاط الاقتصادي تنامى عدد العاملين والموظفين في الدوائر الحكومية بشكل كبير. فجرى ربط قطاع كبير من العاملين في المجتمع بالدولة حيث صارت هي مصدر رزقهم الوحيد، فأصبح الموظف يحرص على لقمة عيشه ويحتمل كل الضغوط والممارسات السلطوية ضده وضد الشعب من دون أن يبدي معارضة قوية. وأنيطت بالموظف مهام أخرى في دائرته إضافة إلى وظيفته، وتم إخضاعه للضغوط النفسية والمعيشية بهدف الانتماء إلى حزب السلطة، ليمارس مهنة المخبر وكاتب التقارير عن الآخرين. كما إن جميع المناصب العليا في الدوائر الحكومية يستحوذ عليها أفراد من أقارب السلطة أو من قريتها أو من المحسوبين عليها، والمدافعين عنها. وليس إصلاح هذه الفئة بالأمر الهين ـ رغم وجود قسم من الموظفين غير راضين عن السلطة ـ إلّا أن السيد الصدر الثاني لم يغفل مخاطبتهم لما يقومون به من دور هام في حياة الناس، لأن ما من أحد إلا ويراجع دائرة حكومية في أية قضية أو أمر. وفي حين يوجه الصدر الثاني انتقاده للموظفين «الذين يتصفون عموماً بأن لهم مصالح تجرهم إلى الدنيا والمجتمع والسياسة الدنيوية والشهوات والانحرافات، لم نجد منهم من التجاوب إلا القليل»، لكنه يفتح لهم باباً للتوبة ويعطيهم عذراً في عدم تجاوبهم مع نداءاته فيقول «غير أنني أعتقد هذا إلى حد ما، صحيح أن التجاوب موجود على نطاق واسع غير أن الضغط الاجتماعي هو الذي يمنع عن بيانه وإبرازه»[٦٨].

---

(٦٨) السيد محمد الصدر، خطبة رقم (٤٥).

ويخاطب السيد الصدر الثاني العاملين في المستشفيات والعيادات الطبية محذراً إياهم من بيع الأدوية في السوق السوداء، لما لهذا التصرف من نتائج سيئة على المجتمع وخاصة المرضى. كما إن المتاجرة بآلام الناس ومعاناة الفقراء في سبيل الثراء الفاحش واللامشروع يعتبر سلوكاً مشيناً ضد الأمة، ومنافياً للتعاليم الإسلامية حيث يقول «إن ما يأخذونه إنما هو من الناحية الفقهية من الأموال المجهولة المالك، مما يحتمل فقهياً عدم جواز التصرف به إلا بإذن الفقيه الذي يقلّده الفرد. ولمن الواضح أن عدداً كبيراً من العاملين في المجال الطبي غير متفقهين وغير متورعين. . . وهذا وإن كان منافياً للجانب الإنساني للطب، فإنه مناف للجانب الديني. فإن الحفاظ على النفوس من التلف، والحفاظ على المصلحة العامة، والتقليل من آلام الناس واجب شرعاً، والعمل الذي دونه حرام شرعاً»[٦٩].

و ـ **العشائر العراقية**: تقع مدن النجف وكربلاء في الفرات الأوسط حيث تحيط بها العشائر العراقية المستقرة هناك. وخلال القرن التاسع عشر توطدت العلاقة بين المرجعية الدينية والعشائر. وكان العلماء الشيعة يتوسطون بين العشائر الثائرة وبين السلطات العثمانية المحلية لإنهاء ثوراتها[٧٠]. ونشأت روابط وثيقة بين الفقهاء الشيعة وشيوخ العشائر، وقد تجسد ذلك في العديد من الأحداث التاريخية التي اعتمد فيها مراجع الدين على أبناء العشائر، خاصة في المواجهات العسكرية مثل مواجهة الغزو البريطاني للعراق عام ١٩١٤، وأثناء ثورة العشرين ١٩٢٠. وقد ضعفت العلاقة بين المرجعية الدينية والعشائر في النصف الأخير من القرن العشرين لأسباب بعضها يعود إلى المرجعية نفسها، وبعضها يعود إلى

(٦٩) السيد محمد الصدر، خطبة رقم (٤٢) في ١٢ شوال ١٤١٩هـ.

(٧٠) نقاش، **شيعة العراق**، ص ٦٠.

الحكومات المتعاقبة التي سعت إلى تدمير البنية التحتية للريف العراقي، وإحلال مفاهيم وأيديولوجيا قضت على الانجذاب الروحي إلى المرجعية، وقلّصت من قدسية مراجع الدين في نفوس الناس، وغيّرت من نمط العلاقات التقليدية لتتركز علاقة العشائر بالسلطة والمؤسسات التي تمثلها[٧١]. ولم تتمكن السلطات المتعاقبة من مسخ شخصية أبناء العشائر بالكامل، بل بقي هناك ولاء تقليدي تجاه العلماء والمراجع. فأراد الصدر الثاني أن يعيد الثقة إلى العشائر العراقية ويرمم العلاقة التي تعرضت للتصدع، وأن يؤجج في نفوس أبنائها الحميّة للدين والالتزام بأحكامه. فقد رفض السيد محمد الصدر استلام الحقوق الشرعية من العشائر، بل أمرهم بتوزيعها وصرفها داخل العشيرة، فأوجد حالة من «عطاء المرجع للعشيرة» بدل «حالة الأخذ منها» فقط. كما اهتم بإرسال المبلّغين الواعين إلى العشائر. وبذل جهوداً من أجل تغيير قانون العشائر الذي يتضمن مفردات تخالف الشريعة الإسلامية فاتفق مع شيوخ العشائر على توقيع عقد «السانية العشائرية» التي تنظم قضاياهم بما ينسجم والتعاليم الإسلامية، حيث صرح الصدر الثاني «ويجب أن لا يبقى الحال على ما هو عليه من عدم التفقه في الدين، ولا ينبغي أن يكون قانون العشائر معمولاً به بما لا يرضي الحوزة ولا أي مرجع ولا متفقهاً في دينه لأنه حرام في حرام»[٧٢] وركز على قضية اهتمام العشائر بالفقه

---

(٧١) في عام ١٩٥٨ أصدر عبد الكريم قاسم قانون الإصلاح الزراعي حين تمت مصادرة أراضي شيوخ العشائر وتوزيعها على الفلاحين فأضعف سلطة الشيوخ. وبدأ من عام ١٩٦٨ بوصول حزب البعث إلى السلطة اختراق المنظومة القيمية للعشائر العراقية بتأسيس الجمعيات الفلاحية في الريف والمرتبطة مباشرة بالمنظمات الحزبية في المدن القريبة لتشكل رقابة أمنية على العشائر. كما تم احتواء غالبية شباب العشائر في المؤسسة العسكرية والخدمة بعيداً عن عشائرهم، فضعفت علاقتهم بها، إضافة إلى نمو مصلحة قوية مع السلطة من خلال الراتب والامتيازات والانتماء إلى حزب السلطة.

(٧٢) السيد محمد الصدر، خطبة رقم (٢١).

الإسلامي الذي يجب أن يرتب سلوكهم وتعاملهم مع بعضهم البعض، كما دعاهم إلى مراجعة الحوزة العلمية في حل مشاكلهم.

ز ـ **الغجر**: تعيش هذه الفئة الاجتماعية على هامش المجتمع العراقي بسبب وضعها الأخلاقي والثقافي والاجتماعي الخاص، وبسبب أسلوبها في الحياة وطريقة عيشها ومصادر رزقها الذي يعتمد على الرقص والغناء. وهي مجتمعات صغيرة مغلقة على نفسها، وغالباً ما تسكن في ضواحي المدن في أحياء مغلقة وفقيرة أو على شكل قبائل راحلة مع حيواناتها، تنصبُ خيامها قرب المدن والقرى لتستقبل طالبي الشهوات، أو تحيي فتياتها الليالي الحمراء والأعراس. ولا وجودهم مصادر اجتماعية أو تاريخية تتحدث عن الغجر وأصلهم وأماكن وجودهم في الخارطة العراقية، وخلت من ذكرهم الإحصائيات السكانية التي نشرها باحثون اجتماعيون[٧٣]. كما لا توجد معلومات عن أصولهم وتركيبة مجتمعاتهم وأنماط تفكيرهم وتراثهم وعاداتهم الاجتماعية وغيرها، ولا يعرف عنهم إلا أنهم يمثّلون جماعة توفر اللهو والتسلية[٧٤]. ولا يحظى الغجر بسمعة جيدة بين أوساط المجتمع العراقي[٧٥]، كما إنهم حافظوا على

---

(٧٣) لم يذكر حنا بطاطو أي شيء عن الغجر ولم يدرجهم ضمن جداول التكوين الديني والعرقي لسكان العراق. انظر: حنا بطاطو، **العراق: الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية من العهد العثماني حتى قيام الجمهورية**، ٣ ج (بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٩٠).

(٧٤) لا يذكر عالم الاجتماع الدكتور علي الوردي عن الغجر سوى ثلاثة أسطر حيث يقول «وللغجر في الريف العراقي وظيفة مهمة من هذه الناحية. فلديهم فتيات بارعات في الرقص والغناء، وهم يتنقلون بهن بين القبائل الريفية فيشبعون فيها بعض الحاجة إلى اللهو والتسلية». انظر: علي الوردي، **دراسة في طبيعة المجتمع العراقي: محاولة تمهيدية لدراسة المجتمع العربي الأكبر في ضوء علم الاجتماع الحديث** (قم: منشورات الشريف الرضي، ١٩٩٢)، ص ٣٢٦.

(٧٥) بعد وصول حزب البعث إلى السلطة عام ١٩٦٨ بدأ التلفزيون العراقي ببث برنامج أسبوعي يقدم فيه أغاني ورقصاً تقوم به الغجريات. وكان اسم البرنامج (أغاني من الريف) تقدمه (بنات الريف) لإهانة أبناء العشائر والحط من شأن نسائها حيث يجري تشبيههن =

عزلتهم وعدم اندماجهم في الحياة الاجتماعية والثقافية والدينية.

يعد السيد محمد الصدر أول شخصية اجتماعية مرموقة وأول فقيه مسلم يخاطب الغجر. لقد خاطب هذه الفئة الاجتماعية سعياً لإدماجها في المجتمع العراقي بعد إصلاح أوضاعها العقائدية والأخلاقية. فقد خصص آخر خطبة له حول هذه القضية. وقد ركز على النقاط التالية:

- إنهم كسائر البشر يجب أن تقام الحجة الشرعية عليهم وتبليغهم أحكام الإسلام.

- خاطب فيهم عقولهم وتفكيرهم ودعاهم إلى التخلي عن عاداتهم ومصادر كسب رزقهم فقال لهم «ما هو العدل والحق من الناحية الإنسانية والاجتماعية؟ هل يمكن أن يتمثل العدل والحق بالتسيب والمعاصي والفواحش والمراقص والمغاني؟ أو أنه ضد ذلك كله كما هو واضح. فإذا العدل في ترك ذلك فاتركوه».

- خاطبهم بصفتهم مؤمنين وليس مشركين أو ملحدين فقال: «يمكن مخاطبة قسم كبير من الغجر بصفتهم مؤمنين بوجود الله وصحة الإسلام أساساً، وبتعبير آخر، إنهم مسلمون فعلاً، وإن لم يشعروا بأهمية إسلامهم».

- انتقد فيهم حالة التقليد الأعمى للموروث الاجتماعي والفكري جيلاً عن جيل من دون تأمل أو وعي. واعتبر أن أكثر ما يتناقلونه من أفكار وتصورات ليست سوى أساطير لا صحة لها. وهذا يشير إلى أن السيد الصدر قد اطلع على أفكار الغجر ونمط تفكيرهم

= بالغجريات. وكان العديد من الوزراء والمسؤولين يهوون الغجر ويقضون لياليهم بينهم. وأثناء الحرب العراقية ـ الإيرانية (١٩٨٠ ـ ١٩٨٨) امتدح إعلام السلطة الغجر لأنهم تبرعوا بمصوغاتهم وحليّهم لدعم (قادسية صدّام).

من مصادر لم يذكرها فقال: «يبدو وبوضوح من بعض المصادر أن لديهم عدداً من الأفكار الموروثة التي يتلقونها بالصحة كأنها غير قابلة للمناقشة، مع أن الأعم الأغلب منها قائم على الخرافة وعلى أمور غير منطقية إطلاقاً. ومن العيب أن يتمسك الفرد أو المجتمع بالخرافات بعنوان أنها تمثّل فكر عشيرته أو نسله أو أجداده».

ـ تعتبر وسيلة كسب الغجر غير مشروعة من وجهة نظر الإسلام، خاصة وأنها لا تساهم في الحياة الاقتصادية للمجتمع. واعتبر الشهيد الصدر الثاني «أن الكسب الذي يأتي عن طريق هذه الأساليب التي يتخذها الغجر غالباً كالرقص والغناء والربا والزنا وقراءة الكف وغير ذلك إنما هو كسب حرام، لا يوجد من يفتي بحلّيّته في الإسلام من مختلف المذاهب».

ـ ولما كانت مصادر كسبهم المال غير شرعية فيترتب على ذلك عدم شرعية التعامل بهذه الأموال، ولذلك أصدر الصدر فتوى بمقاطعتهم في البيع. ولما كان الغجر يشكلون مجتمعاً قائماً بحد ذاته فليس من الصحيح قطع الطريق عليهم بالعودة إلى الإسلام. ويبدو أن الصدر أدرك ذلك فاعتبر الفتوى مجرد أداة ضغط عليهم كي يتركوا تلك المصادر الحرام، حيث قال «إن الغجر يمثلون مجتمعاً كاملاً، حياً أو مدينة أو محافظة في بعض البلدات، ولا بد لهم من العيش والاسترباح، ولا بد من التعامل معهم، فلماذا يسيرون بطريق الحرام لكي تجب مقاطعتهم، وخير لهم في الدنيا والآخرة أن يسيروا في طريق الربح الحلال لكي يكونوا أصدقاء للمجتمع ومتواصلين معه».

ـ دعا الصدر الغجر إلى الاندماج في المجتمع والخروج من حالة العزلة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية لأن ذلك يعني عدم الشعور بالمسؤولية تجاه هذه المجتمع، وعدم مشاركته في همومه ومصالحه وطموحاته، فقال «الإنسان الغجري لا يحمل همّ الآخرين

في المجتمع لا كأفراد ولا كمجتمع، ولا يفكر في تفكيرهم، ولا يتدخل في شؤونهم لا الدنيوية ولا الدينية. وهذا انعزال مؤسف جداً مهما كان حالهم. فهم يشكّلون قوة واضحة التأثير في المجتمع. ولأجل هذا التقوقع والانعزال أصبحوا لا يهتمون بأفكار الاختصاصيين مهما كانت، ولا تهمهم الدراسات العليا الدنيوية والدينية معاً. كما لا تهمهم المناصب والأهداف الدينية والدنيوية معاً. وإنما قنعوا بأن يكونوا أناساً مجهولين ومبغوضين ومتشردين».

ـ حاول الشهيد الصدر إعطاء لمحة أنثروبولوجية عن أصل الغجر في العالم حيث اعتقد أنهم يعودون «إلى جد واحد قديم، الله أعلم بحاله ولغته ومحل سكناه. وإن كان المشهور أن أصله من الهند ولم يثبت ذلك بوضوح». ويتابع انتشارهم في العالم ليستخلص «أنه ليس في السكان الأصليين لأفريقيا وهم السود، ليس منهم غجر. كما ليس في السكان الأصليين في أستراليا وأمريكا الشمالية والجنوبية غجر، وإنما المنبع الأصلي للغجر هو النسل الأبيض الموجود في هذه القارة الثنائية المتكونة من آسيا وأوروبا، إلا أن هذا وحده لا يكفي للتحديد». كما يستنتج السيد الصدر عبر قاعدة أنثروبولوجية مقارنة أنه «بالرغم من تعدد لغاتهم وتباعد مناطقهم فإن جنسيتهم واحدة[٧٦]، وعاداتهم مشتركة، ويحسون بالتعاطف فيما بينهم أكثر مما يحسون بالتعاطف مع مجتمعهم الذي يعيشون فيه».

ـ ويلاحظ الصدر الثاني ظاهرة بشرية فريدة بين الغجر حيث «إن الغجري لا يحرص على أنه متدين أصلاً، يعني أنه لا يحرص ما

---

(٧٦) الكثير من الغجر الذين يعيشون في أوروبا لا يملكون جنسية، وبعضهم قد حصلوا على جنسيات المجتمعات التي يعيشون فيها كإسبانيا وبلغاريا. وقد تعرض الغجر إلى الإبادة والملاحقة من قبل ألمانيا النازية، وتعرضوا للاعتقال في معسكرات الاحتجاز، وُقتل عشرات الآلاف منهم.

إذا كان مسلماً أو مسيحياً أو يهودياً. وإذا كان يخطر في باله ذلك، فهو ليس مهماً ويعتبره شيئاً ثانوياً، وإنما المهم هو كونه غجرياً ملتزماً بصفات وعادات الغجر. ويغلب على عاداتهم التسيب الأخلاقي والرفض للقيود الإنسانية والدينية، فتجد عندهم الموبقات كلها من الزنا واللواط والسرقة والكذب والخيانة والرقص والغناء».

ـ وبسبب طريقة تفكيرهم وأسلوب عيشهم وانعزالهم عن المجتمع يلاحظ الصدر الثاني مظاهر اجتماعية غريبة لدى الغجر حيث يرى أنه «لا نجد منهم ممثلين أو رياضيين أو تجاراً مشهورين أو حملة شهادات عليا. كما إنهم لا يشاركون المتدينين وخاصة في ما يرتبط بالإسلام، مع العلم أن كثيراً منهم يعيشون في مجتمع مسلم. فليس منهم إلا النادر من يشارك في الحج أو في صلاة الجماعة أو صلاة الجمعة أو مجلس تعزية. كما لا يدفعون خُمساً ولا زكاة. كما لا أحسبهم يحضرون مناسبات المجتمع الذي يعيشون فيه من وفاة أو ولادة أو زواج إلا نادراً أو صدفة. كما أنهم لا يهمهم الإصلاح الاجتماعي، لا لأنفسهم ولا لغيرهم، ولا يتدخلون في السياسة، ولا تجد لديهم أي احتجاج أو تمرّد على ما يمرون به هم أنفسهم من مصاعب حتى في الدول التي تكفل لهم الحرية الشكلية».

ـ ويدعو الصدر إلى أهمية دعوتهم إلى الهدى والالتزام بالتعاليم الإسلامية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بينهم، حتى وإن لم يتقبلوه بسبب تعصّبهم وعدم ثقتهم بمن هو ليس بغجري. ويدعو الحوزة العلمية إلى التوجه إلى هذه الشريحة الاجتماعية والسعي إلى إرشادها إلى الطريق الصحيح، فهم ليسوا أشد تعصباً وتحجراً من قريش وأصنامها، وليسوا أشد من اليهود الذين دخل كثير منهم في الإسلام، وليسوا أقل من بقية الشعوب التي دخلت في الإسلام.

ـ وقد أثّرت مخاطبة الصدر للغجر حيث ينقل أحد وكلائه أنه

«بمجرد كلمات لم تتجاوز الساعة، أتى الغجر بحافلة يعلنون التوبة، وبلافتات مكتوب عليها (إخوانكم الشباب الغجر تائبون)»[٧٧].

ح ـ **أهل السنة**: عاش شيعة العراق طوال أربعة قرون من الخلافة العثمانية تحت رحمة سياسة القمع الطائفي والتمييز المذهبي. فقد ترتب على ذلك، فضلاً عن تقييد حرية الاعتقاد المذهبي، إقصاء الشيعة من العمل في أجهزة ووظائف الدولة، ومن المشاركة في الحياة السياسية العامة، أو اعتبار زعاماتهم الدينية والاجتماعية كممثلين شرعيين لأفراد الجماعة الشيعية[٧٨]. ورفضت الدولة العثمانية معاملة الشيعة حتى مثل بقية الأقليات الدينية كالدروز والعلويين النصيرية واليهود والنصارى في الامتيازات التي حصلوا عليها في إعلان همايون عام ١٨٥٦[٧٩]. وأصدر مشايخ الدولة العثمانية عدة فتاوى، على فترات متعددة، تقضي بجواز قتل الشيعة باعتبارهم مارقين عن الإسلام، وأن ديارهم ديار حرب، ويجوز أخذهم أسرى[٨٠]. ورغم ما عاناه الشيعة من الدولة العثمانية إلّا أنهم وقفوا إلى جانبها أثناء الغزو البريطاني للعراق عام ١٩١٤.

وبعد الاحتلال البريطاني بقي الشيعة يرفضون الإدارة البريطانية فقاموا بثورة العشرين عام ١٩٢٠ التي قادتها المرجعية الدينية. وقد

---

(٧٧) لقاء مع الشيخ صالح الجيزاني وكيل السيد محمد الصدر في البصرة، في: **نشرة الجمعة**، العدد ٦ (تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٩٩).

(٧٨) عبد الحليم الرهيمي، **تأريخ الحركة الإسلامية في العراق: الجذور الفكرية والواقع التاريخي (١٩٠٠ ـ ١٩٢٤)** (بيروت: الدار العالمية للطباعة والنشر، ١٩٨٥)، ص ١١٠.

(٧٩) محمد فريد بك المحامي، **تاريخ الدولة العلية العثمانية**، تحقيق إحسان حقي (بيروت: دار النفائس، ١٩٩٣)، ص ٤٨٤ ـ ٤٨٩.

(٨٠) جعفر عبد الرزاق، «العلماء المسلمون بين الفقه السياسي والعمل السياسي،»، **الفكر الجديد**، العددان ١١ ـ ١٢ (كانون الثاني/ يناير ١٩٩٦)، ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥.

أصدر المرجع الديني الشيخ محمد تقي الشيرازي بياناً دعا فيه السنة والشيعة لتوحيد صفوفهم تجاه مطالبهم لتحقيق استقلال العراق[٨١]. وأدى التقارب الطائفي إلى تبادل الزيارات وإقامة الموالد النبوية والمجالس الحسينية التي يحضرها الطرفان. وأنشد الشعراء السنة قصائد شعر تمتدح أهل البيت والأئمة (عليهم السلام)[٨٢].

ومنذ الخمسينيات في القرن العشرين ارتفعت العديد من الأصوات تنادي بالوحدة الإسلامية بين السنة والشيعة. وقد سعى بعض العلماء الشيعة (أمثال الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء والسيد مرتضى الرضوي والسيد محمد تقي القمي) والسنة أمثال الشيخ أحمد حسن الباقوري والشيخ محمد الغزالي والشيخ محمود شلتوت، شيخ الأزهر الذي أصدر فتوى بجواز التعبد بمذهب الشيعة الإمامية وغيرهم. وثمرة لتلك الجهود تم تأسيس (جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية) في القاهرة في الخمسينيات لتقريب وجهات النظر بين المذهبين[٨٣]. وعندما أصدر عبد الكريم قاسم «قانون الأحوال الشخصية» اتفق علماء المذهبين على التصدي لذلك القانون المخالف للشريعة الإسلامية. واتسمت تلك الفترة بلقاءات مشتركة لعلماء الشيعة والسنة. إذ جرى الاحتفال بالمولد النبوي في جامع الإمام أبي حنيفة بحضور مجموعة كبيرة من علماء وأهالي

---

(٨١) الوردي، **لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث**، ج ٥: **حول ثورة العشرين**، القسم الأول، ص ١٨٣.

(٨٢) المصدر نفسه، ج ٥، القسم الأول، ص ١٩١ ـ ١٩٥.

(٨٣) انظر على سبيل المثال: مرتضى الرضوي، **في سبيل الوحدة الإسلامية** (القاهرة: مطبوعات النجاح، ١٩٨٠)؛ محمد تقي الحكيم: **قصة التقريب بين المذاهب** (طهران: مطبعة النجاح، ١٩٨٢)، **والتشيع في ندوات القاهرة** (بيروت: مؤسسة الإمام علي، ١٩٩٩)، **وحول الوحدة الإسلامية: أفكار ودراسات** (طهران: منظمة الإعلام الإسلامي، ١٩٨٤).

الكاظمية[٨٤]. ولم تستمر الأمور على ذلك المنوال بل سرعان ما توترت الأجواء والعلاقات بين السنة والشيعة بعد وصول عبد السلام عارف إلى السلطة (١٩٦٣ ـ ١٩٦٥) والذي مارس سياسة طائفية متشنجة ضد الشيعة[٨٥].

وأثناء فترة احتجازه وجّه السيد محمد باقر الصدر خطابه إلى أهل السنة يدعوهم إلى الوقوف مع الشيعة بوجه النظام حيث قال «فأنا معك يا أخي وولدي السني بقدر ما أنا معك يا أخي وولدي الشيعي. أنا معكما بقدر ما أنتما مع الإسلام، وبقدر ما تحملون من هذا المشعل العظيم لإنقاذ العراق من كابوس التسلط والذل والاضطهاد»[٨٦]. ولما لم تكن هناك أية مقدمات أو أسس لوجود علاقة سابقة بين المرجعية وأهل السنة، فلم يكن لذلك النداء أي تأثير في الأوساط السنية.

أما الشهيد الصدر الثاني فقد بنى علاقات مع أهل السنة، أفراداً وأئمة جماعات ومساجد. وأصدر توصياته بانفتاح الأوساط الشيعية عليهم والتعاون معهم وحضور مساجدهم والصلاة خلفهم. فقد تمكن من بناء علاقات وثيقة مع أهل السنة بشكل جعلهم يأتون

---

(٨٤) حسن العلوي، **عبد الكريم قاسم: رؤية بعد العشرين** (لندن: دار الزوراء، ١٩٨٣)، ص ٦٨.

(٨٥) انظر مذكرة الشيخ محمد رضا الشبيبي المؤرخة في ٢٨/ ١٠/ ١٩٦٥ التي قدمها إلى رئيس الوزراء العراقي عبد الرحمن البزاز، والتي عبّر فيها عن مظلومية الشيعة وسياسة التمييز الطائفي ضدهم. انظر: سعيد السامرائي، **الطائفية في العراق: الواقع والحل** (لندن: مؤسسة الفجر، ١٩٩٣)، ص ٣٩٩ ـ ٤٠٤. انظر وثائق الخارجية البريطانية التي تتحدث عن الحكم الطائفي بين عامي ١٩٦٣ ـ ١٩٦٦، في: حامد البياتي، **شيعة العراق... بين الطائفية والشبهات في الوثائق السرية البريطانية، ١٩٦٣ ـ ١٩٦٦** (لندن: مؤسسة الرافد، ١٩٩٧).

(٨٦) النعماني، **الشهيد الصدر: سنوات المحنة وأيام الحصار**، ص ٣٠٥.

إلى مسجد الكوفة للمشاركة في صلاة الجمعة، وكان يستقبلهم ويحييهم في خطبة الجمعة. فقد صرح في إحدى خطبه «من الملحوظ في هذه الأيام أن كثيرين من إخواننا أهل السنة من رجال دين وغيرهم يحضرون صلاة الجماعة والجمعة عندنا، وليس في الحرج التقليدي أي تفكير في ذلك بحضور صلاة الجمعة والجماعة عندنا، أو يحتمل قيام أي فرد بذلك في يوم من الأيام، مع شديد الأسف. إني خاطبت أهل السنة والجماعة بالصداقة والعلاقة. والحق أن التجاوب واضح ومسرّ ومنتج لأفضل النتائج»[٨٧].

وقد ظهر تأثير تلك العلاقة الوطيدة بعد استشهاد الصدر ومجموعة من وكلائه من أئمة الجمعة والجماعة في المحافظات الأخرى. فقد اتخذت السلطات إجراءات شديدة لمنع إقامة صلاة الجمعة في المناطق الشيعية أو في المساجد الشيعية، فأخذ المصلون الشيعة يحضرون صلاة الجمعة في المساجد السنية حيث يجدون كل ترحيب وتفاعل من قبل أئمة الجمعة السنة، ويؤيدون أنصار ومقلدي ووكلاء الشهيد الصدر الثاني، مما اضطر السلطة إلى إغلاق بعض المساجد السنية في الرمادي[٨٨]. وعندما شن النظام حملة إساءة ضد الشيعة دان علماء وخطباء السنة في الرمادي والأعظمية تلك الخطة التي تستهدف الوقيعة بين السنة والشيعة. وكانت صحيفة **بابل** التي يرأسها عُدَيّ قد نشرت مجموعة مقالات بعنوان «الجذور الطائفية في العراق» تنال من أئمة الشيعة. كما نشرت إحدى مكتبات بغداد كتباً تتبنى منهجاً طائفياً في محاربة الشيعة[٨٩].

---

(٨٧) السيد محمد الصدر، خطبة رقم (٤٥).

(٨٨) **نشرة النخيل**، العدد ٤٩ (شباط/ فبراير ٢٠٠٠)، وهي نشرة شهرية تصدرها الجمعية الثقافية العراقية في هولندا.

(٨٩) **نشرة النخيل**، العدد ٤٦ (تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٩٩).

ط ـ أتباع الأديان الأخرى: لم يقتصر تأثير الشهيد الصدر الثاني على المسلمين فقط، بل امتد تأثيره إلى غير المسلمين. ففي خطبته التي خصصها للحديث عن المرأة، تطرق إلى مسألة الحجاب وذكر أن «كل الأديان السماوية، الإسلام بمذاهبه والمسيحية بمذاهبها واليهودية وغيرها، كلّها تحرّم السفور وتردع عنه. وكلّها تحرم الزنا واللواط وشرب الخمر. وليس هناك أي دين يحللها أو يجيزها. وكعلامة بسيطة عند المسيحيين وكذلك اليهود، أننا نجد النساء المتدينات في دينهن والراهبات منهن يلبسن الحجاب لأنهن يرين مسؤوليتهن تجاه الله بلبس الحجاب». وفي الخطبة نفسها تطرق إلى مسألة تحريم الخمر في الديانات السماوية ثم تساءل «هل كان موسى الكليم (عليه السلام) يشرب الخمر ويأكل لحم الخنزير؟ وهل كان عيسى المسيح (عليه السلام) كذلك؟ أو كان الحواريون يشربون الخمر أو يأكلون لحم الخنزير أو نساؤهم غير محجبات؟ أو مريم العذراء غير محجبة؟»[٩٠].

وفي آخر خطبة ذكر قصة مفادها أن بعض المسيحيين سمعوا الخطبة الأولى وقرروا إعلان إسلامهم بين يديه حيث قال «أروي لكم قصة بسيطة لها معانٍ كثيرة، فقد نقل عن أسرة مسيحية أن أفرادها يقولون إن البابا، الذي هو أعلى مسؤول أو رجل دين في نظرهم، لا يقول لنا ذلك. فمن أين جاء محمد الصدر ليقول ذلك، يعني أنه حينما قلت إن مريم العذراء (عليها السلام) ليست سافرة، وأن عيسى بن مريم لا يشرب الخمر، فلماذا أنتم ملتزمون بشرب الخمر والسفور والعياذ بالله. البابا لا يقول لهم، فضلاً عن رجال دينهم، فمن أين جاء السيد محمد الصدر بهذا؟ وأضاف أفراد تلك الأسرة

(٩٠) السيد محمد الصدر، الخطبة الرقم (٢٢) في ١٩ جمادى الأولى ١٤١٩هـ.

بأننا سنذهب إلى السيد محمد الصدر لنعلن إسلامنا بين يديه، أهلاً وسهلاً بهم»[٩١].

ي ـ العراقيون في الخارج: سعى الشهيد الصدر الثاني إلى تقوية علاقته بالأمة خارج العراق رغم الحصار الدولي المفروض على العراق. وقد حيّا الجماهير العراقية في المهجر بقوله: «وحيّا الله العراقيين النازحين من بلادهم الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله. وحيا الله جميع طلاب وجميع محبي الإمام الشهيد السعيد الصدر، وهم إخواني وزملائي وأقاربي وأكثر من أقاربي، أعزهم الله أجمعين. وحيّا الله العاملين لدين الله الساهرين في سبيل إعلاء كلمة التوحيد في داخل إيران وخارجها، في داخل العراق وخارجه، وفي داخل بلاد الإسلام وخارجها، وجزاهم الله خير جزاء المحسنين، ومعهم قلبي ويدي ورأيي هذا الضعيف الذليل الحقير»[٩٢].

فقد أراد الانفتاح على المسلمين في بقية البلدان، وإن كنا نعتقد أن غالبية مقلديه في الخارج من العراقيين المهاجرين واللاجئين. لذلك سعى إلى إرسال ممثلين عنه وفتح مكاتب في بعض البلدان التي يوجد فيها عراقيون شيعة كما في سوريا والأردن وإيران ولبنان والإمارات وأستراليا. ورغم أن ظاهرة تعدد مكاتب المرجعيات في المدن ذات الوجود الشيعي ظاهرة عادية إلّا أن الصدر الثاني واجه صعوبات في بعض المناطق. فقد أرسل السيد جعفر الصدر نجل الشهيد السيد محمد باقر الصدر إلى قم المقدسة لافتتاح مكتب له

---

(٩١) السيد محمد الصدر، الخطبة الرقم (٤٥)، والحادثة بحاجة إلى توثيق لأنها نقلت إلى السيد الصدر، ولم يذكر تفاصيلها.

(٩٢) من خطاب كان من المقرر إلقاؤه بمناسبة افتتاح مكتب السيد محمد الصدر في قم المقدسة، انظر: رؤوف، **مرجعية الميدان**، ص ٣٦٨ ـ ٣٦٩.

هناك. واختيار السيد جعفر لم يأت اعتباطاً بل، إضافة إلى مواهبه وصفاته وعلمه، فهو ابن القائد الشهيد الصدر الذي يحتل مكانة خاصة في قلوب العراقيين الذين يحيون ذكراه كل عام في شتى بلدان المهجر[٩٣]. كما إن الصدر الثاني نفسه أشار إلى الصفات الاجتماعية للسيد جعفر ومحبة الناس له بقوله: «أرسلت السيد جعفر إلى إيران لأجل فتح مكتب لأني في الحقيقة وجدته هو الأهل لذلك أولاً، ولقرابته مني وقرابتي من والده، ولحسن ذيوع اسمه بين الناس وإخلاص الناس له، وكذلك هو اجتماعي ومحبّب إلى الناس ومثقف، وواعٍ وطلق اللسان، فهو له فضيلة وسمعة، وله حسن ظن في أذهان الآخرين»[٩٤]. ووصفه في خطاب مكتوب بأنه أرسل «جناب السيد أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي السيد جعفر ابن الإمام الشهيد السعيد السيد الصدر (قدّس الله روحه الزكية) ليؤسس هذا المكتب ليكون حلقة وصل في هذه الأخوّة الإسلامية، وفقرة عمل في المحبة والتنسيق»[٩٥]. وكان الصدر الثاني موفقاً في اختيار السيد جعفر حيث ظهر مدى تأثير السيد جعفر الصدر في مخاطبة الجماهير العراقية في إيران بعد اغتيال الصدر الثاني.

---

(٩٣) في حديث للشيخ محمد باقر الناصري في احتفال الشهيد الصدر في هولندا عام ١٩٩٩ ذكر أنه «لا يبالغ اليوم من يقول بأنه ما من قطر أو بلد في شرق الأرض وغربها إلا ويقام فيه احتفال في ذكرى الصدر. تقام اليوم عشرات بل مئات الاحتفالات في ذكرى الشهيد الصدر، في أمريكا، في أوروبا، في آسيا وأفريقيا، بل حتى في المناطق التي نادراً ما يوجد فيها مسلمون، تقام فيها اليوم احتفالات ذكرى الصدر كبلدان أمريكا اللاتينية كالبرازيل وكوبا. وفي بعض الدول تقام عدة احتفالات في مدن متعددة في آن واحد. انظر: **نشرة النخيل**، العدد ٤١ (أيار/ مايو ١٩٩٩).

(٩٤) السيد محمد الصدر، في لقاء مسجل. انظر: الأسدي، **الصدر الثاني: الشاهد والشهيد**، ص ١٠٨.

(٩٥) يلاحظ أن السيد محمد الصدر قد استخدم عبارات الإمام الحسين (عليه السلام) عندما بعث ابن عمه مسلم بن عقيل إلى أهل الكوفة.

٦ ـ فتاوى للشارع العراقي

عالج الشهيد الصدر الثاني الظواهر الاجتماعية السلبية في المجتمع العراقي وتصدى لها، كالغناء والخلاعة والاحتكار والفقر والثراء الفاحش اللامشروع والاختلاط بين الجنسين والسفور، والإسراف في حفلات العرس وما يصاحبها من سفور وخلاعة وغناء وتصفيق وقطع الطريق وتوزيع الخمر وغيرها من القضايا التي تحجم المرجعية عادة عن التدخل فيها. لقد كان يتابع الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والفكرية للجماهير فينصح ويسدد ويفتي من أجل إصلاحها. وأصدر فتوى بمقاطعة تلك الحفلات وممارسة تلك المعاصي، حيث أعلن في إحدى خطب الجمعة قائلاً «ومن هنا نحن نعلن عن وجوب مقاطعة كل ذلك بتاتاً وتماماً. وكل من يفكر في ذلك فهو ملعون، وكل من يجيب دعوتهم أو يشارك في عملهم فهو ملعون، بل كل من يتعاون معهم في أي شيء حتى داخل أسرتهم فهو ملعون»[٩٦].

والتفت إلى ما يجري نشره من مظاهر الثقافة الغربية كارتداء الملابس التي تشتمل على ماركات وكتابات غربية. فقد دعا إلى تركها، ناهياً عنها بقوله: «لماذا تقلدون الغرب وهم يحتقرونكم، فكّروا وحلّلوا، لا تكونوا بلا عقول»[٩٧].

وامتدت مساحة النشاط إلى التحرش بالسلطة حيث إنه أعلن عن تشكيل المحاكم الشرعية التي دعا الناس إلى مراجعتها في قضاياها ومشاكلها ودعاواها بدلاً من اللجوء إلى المحاكم

(٩٦) السيد محمد الصدر، الخطبة الرقم (٢٢) في ١٩ جمادى الأولى ١٤١٩هـ.

(٩٧) رؤوف، **مرجعية الميدان**، ص ٢١٧.

والمؤسسات القضائية الحكومية. وطلب من الناس مراجعة وكلائه أو من عيّنهم لتولّي منصب القضاء. علماً بأن مراجعة تلك المحاكم كان طوعياً، ومع ذلك فقد كان ذلك المشروع، لو استمر، قادراً على مزاحمة سلطات الدولة في واحد من أهم اختصاصاتها.

وفي خطوة أخرى، للتحرش بالسلطة، أفتى السيد محمد الصدر بحرمة التعامل مع (ما يسمى منظمة مجاهدي خلق) الإيرانية المعارضة للجمهورية الإسلامية حين سأله أحد المتعهدين العراقيين بتجهيز مقارّ المنظمة بالمواد الغذائية والخضروات فأجابه «هذا غير جائز لأنه إعانة على الإثم. إقطع هذه العلاقة فوراً». ومن المعلوم أن النظام العراقي إحتضن المنظمة الإيرانية المعارضة منذ بداية الحرب العراقية ـ الإيرانية عام ١٩٨٠. وكان لها مقارّ ومعسكرات عديدة في العراق حيث حظيت بالدعم المالي والعسكري والسياسي والإعلامي. ومن المعلوم أن التعرض لشخصية أو جماعة أو منظمة تدعمها السلطة يعني، في عرف السلطة، موقفاً عدائياً ضد السلطة. ففي غياب الحريات تصبح معاداة أصدقاء النظام مجازفة خطيرة ولا تقلّ كثيراً عن الجهر بالعداء للنظام نفسه.

الفصل الثالث

من فكر الشهيد الصدر:
السيد محمد الصدر والثورة الحسينية(*)

(*) نشرة النخيل، العدد ٤١ (أيار/مايو ١٩٩٩).

كان الشهيد السيد محمد الصدر (رحمه الله) قد اتخذ من ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) منهجاً لحياته وجهاده، فقد كان مستعداً للشهادة منذ أن ارتدى كفنه وهو يؤم المصلين في مسجد الكوفة خطيباً وإماماً. وكان رحمه الله قد قام بتأليف كتاب بعنوان **أضواء على ثورة الإمام الحسين** (عليه السلام) عام ١٩٩٦، ناقش فيه مختلف القضايا الفكرية والتاريخية والعقائدية في ما يتعلق بالثورة الحسينية منذ انطلاقتها وحتى الشهادة.

ولما كان ما يطرحه عميق الفكرة، متجاوزاً ما اعتاد البعض عليه، يفاجئ السيد الصدر القارئ بشروط يفترضها بمن يقرأ الكتاب وهي:

١ ـ أن يكون موضوعيّ التفكير، لم يختر سلفاً اتجاهاً مغايراً، بل يحاول أن يحكّم عقله الخالص في كل ما يسمع من الأمور مطبقاً ذلك على الكتاب الكريم والسنة الشريفة، فإنما هما المحكّ الرئيسي للمسلمين في تشخيص الحق.

٢ ـ أن يكون ذا اطلاع كافٍ على تاريخ الحسين (عليه السلام) وأصحابه وأهل بيته قبل وأثناء وبعد واقعة كربلاء. والأفضل أن يراجع ذلك التاريخ أولاً.

٣ ـ أن يكون ذا اطلاع كافٍ على أوضاع الخطباء، أساليبهم وأقوالهم.

أولاً: أهداف الحسين (عليه السلام)

يضع السيد الصدر منهجاً لفهم أهداف الثورة الحسينية يجعل الباحثين والدارسين والمفكرين بمنأى عن الخروج عن الأهداف الحقيقية، حيث يشترط أن تتمتع هذا الأهداف بالخصائص التالية:

أ ـ أن يكون الشيء الذي نتصوره هدفاً للإمام الحسين (عليه السلام) أمراً مرضياً لله عز وجل، لا تشوبه شائبة عصيان، أو أن يكون مرجوحاً في الشريعة المقدسة، مثل حب الدنيا وطلب المال والجاه والسيطرة المنفصلة عن الأمر الإلهي والتكليف الشرعي.

ب ـ أن يكون الهدف الذي نتصوره مناسباً مع حال الحسين (عليه السلام) وشأنه، لا أن يكون هدفاً مؤقتاً أو متدنياً أو ضئيلاً. فإن ذلك مما لا يصح له وجود هذه التضحية الكبيرة التي قدمها الحسين (عليه السلام).

ج ـ أن يكون أمراً متحققاً في الحال أم في المستقبل. ولا يجوز أن نطرح له هدفاً فاشلاً وغير متحقق أو غير قابل للتحقيق، فإنه خلاف الحكمة الإلهية. ولا يمكن أن ننسب ما هو فاشل وعاطل إلى الحكمة اللامتناهية. ثم يذكر السيد الصدر الأهداف المحتملة للإمام الحسين (عليه السلام) وهي:

١ ـ أن لا يبايع الحاكم الأموي يومئذ كما طلب منه، فإنه عليه السلام رفض بكل قوة وصمود. كما ورد عنه أنه قال: ومثلي لا يبايع مثله. فقد تحمّل القتل والتضحيات الجسيمة في سبيل ترك هذه البيعة الدنيئة. وأنه عليه السلام اعتبر البيعة ذلة حين يدخل تحت السيطرة الأموية. هذا إذا تركه الحكم وشأنه، بل أرسلت السلطة جماعة من القتلة لاغتيال الحسين (عليه السلام) في مكة حتى لو وجدوه متعلقاً بأستار الكعبة.

٢ ـ الهدف الآخر الممكن لحركة الحسين (عليه السلام) هو الامتثال

لأمر الله تعالى إياه بها، ذلك الأمر المعروف لديه إما بالإلهام أو بالرواية عن جده النبي (ﷺ). وكان يطلب ثواب الله وجزاءه الآخروي على ذلك تماماً، كما يفعل أي مؤمن حين يؤدي أي واجب ديني كالصلاة والصوم والحج. ويدل على ذلك ما ورد عن جده (عليه السلام) أنه قال له في المنام: يا بني لا بد لك من الشهادة، وإن لك درجات عند الله عز وجل لن تنالها إلا بالشهادة. وإن الحوراء زينب (عليها السلام) وضعت يديها تحت جسده الطاهر، وقالت: اللهم تقبل منا هذا القربان.

٣ ـ فضح بني أمية ومن على شاكلتهم، وأنهم ليسوا فقط ظالمين لأنفسهم بل ظالمين للناس في حكمهم غير العادل، وأنهم على استعداد لقتل الرجال والأطفال وسبي النساء، وقتل خير الخلق من أجل التمسك بالحكم والكرسي. وقد تحقق هذا الهدف مباشرة بعد واقعة كربلاء وما زال ساري المفعول وسيبقى إلى يوم القيامة.

٤ ـ طلب الإصلاح أو محاولة الإصلاح في الأمة المسلمة حيث قال: إني لم أخرج أشِراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدّي، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر.

٥ ـ الاستجابة لأهل الكوفة حين طلبوا منه القدوم عليهم وأخذ البيعة منهم وممارسة الحكم بينهم. وهذه الاستجابة وإن كانت صحيحة بحسب الحكم الظاهري في الشريعة. إذ يجب عليه (عليه السلام) أن يستجيب لمثل هذا الطلب الجليل. ولكننا مع ذلك لا يمكن أن نعتبره هدفاً حقيقياً للحركة، وإنما هو استجابة لا بد منها لسد الألسنة وقطع المعاذير من ناحية، والتكلم مع الناس على قدر عقولهم.

٦ ـ إعطاء الأمثولة للدين الحنيف القويم، وأنه يستحق هذا

المقدار العظيم من التضحية والفداء في سبيل الله وفي سبيل إقامة الأحكام الإسلامية والشعائر الدينية. وينبغي أن نلاحظ أن الأمر مربوط بالله سبحانه قبل أن يكون مربوطاً بشيء آخر، لأن الدين، على عظمته، إنما اكتسب الأهمية لأنه أمر الله ونهيه، والرسول انما اكتسب الأهمية لأنه رسول الله، والمعصومون إنما حصلوا عليها لأنهم أولياء الله.

ثانياً: يا ليتنا كنّا معكم

هناك عبارة يكررها خطباء المنبر الحسيني حتى أصبحت متعارفة وتقليدية وهي قولهم (يا ليتنا كنا معكم فنفوز فوزاً عظيماً). وهذه العبارة مأخوذة من رواية عن الإمام الرضا (عليه السلام) يقول لابن شبيب: إن سرّك أن يكون لك من الثواب مثل ما لمن استشهد مع الحسين (عليه السلام) فقل متى ما ذكرته: ﴿**ياليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً**﴾[1].

واللفظ الأهم في هذه الجملة هو (معكم). فإن المعية قد تكون مكانية، وقد تكون زمانية، وقد تكون معنوية. فالمتكلم بهذه الجملة مرة يتمنى أن يكون مع شهداء كربلاء في الزمان والمكان المعنيين اللذين كانوا فيهما، وأخرى أن يكون معهم معنوياً.

ويرد السيد محمد الصدر على من يرى أن كلمة (ليت) تفيد امتناع الشيء، وتطلق للشيء المستحيل، فيقول: إن القرآن الكريم يقول ﴿**يا ليتني متّ قبل هذا وكنت نسياً منسياً**﴾[2] مع العلم أن الموت في أي وقت ممكن بقدرة الله سبحانه. ومحلّ الشاهد من ذلك أن التمني للممكن أمر ممكن. فإذا عرفنا أن (المعية) المعنوية

(١) **القرآن الكريم**، «سورة النساء،» الآية ٧٣.

(٢) المصدر نفسه، «سورة مريم،» الآية ٢٣.

مع أصحاب الحسين (عليه السلام) أمر ممكن في أي مكان وزمان لأنها تعبّر عن المعية القلبية والفكرية، وهي المعية الأهم والألزم. فإذا كانت ممكنة كان تمنيها ممكناً، ويمكن أن يقصدها الفرد حين يقول: يا ليتنا كنا معكم فنفوز فوزاً عظيماً. والحق أن المعية المعنوية توجب الفوز العظيم بلا إشكال.

ثالثاً: رواة واقعة الطف

يرى السيد محمد الصدر أن الرواة الأوائل لحادثة الطف منحصرون في الأقسام التالية:

١ ـ الأئمة المعصومون (عليهم السلام) بعد الحسين (عليه السلام) وخاصة الثلاثة الذين كانوا بعده مباشرة وهم الإمام السجاد والإمام الباقر والإمام الصادق عليهم السلام. فلهؤلاء الأئمة قسط من ذكر واقعة الطف. ومع ذلك لا نستطيع أن نأخذ عنهم التفاصيل كما نريدها، لأنهم عليهم السلام كانوا يتحدثون بمقدار ما تقتضي المصلحة في زمانهم، فكانوا يركزون على الجانب المعنوي لواقعة الطف، والدفاع عن قضية الحسين (عليه السلام). ولا تكون لهم رواية أو نقل الحوادث إلّا ما جاء عرضاً خلال الحديث. إذاً، فلا ينبغي أن نتوقع سماع حديثهم عن التفاصيل الكثيرة التي نريدها.

٢ ـ النساء من ذرية الحسين (عليه السلام)، وذرية أصحابه، بعد عودتهن إلى المدينة المنورة، فمن الممكن أن يتحدثن عما رأينه عن تلك التفاصيل. وتعتبر كل واحدة منهن كشاهد حال حاضر للواقعة. ومع ذلك يجب أن لا نبالغ في ذلك لأمرين: الأول، أن النساء كن موجودات في الخيام، ولسن مشرفات على الواقعة ولا متابعات للحوادث، ولا يعرفن أشخاص الرجال الأجانب بأسمائهم. الثاني: كانت المصلحة الدينية والاجتماعية تقتضي إقامة المزيد من المآتم

على واقعة الطف بعد عودتهن إلى المدينة المنورة. إذاً، لقد انشغلت النساء بمهمتهن المقدسة ولم تجد إحداهن الفرصة الكافية لرواية التفاصيل.

٣ ـ الأطفال القلائل الذين نجوا من القتل، واستطاعوا الهرب كأحمد بن مسلم بن عقيل أو عادوا مع النساء كالحسن المثنى. فبعد أن كبروا، من الممكن أن يرووا ما رأوا وما سمعوا. ومع ذلك لا ينبغي المبالغة في أخذ التفاصيل من هؤلاء تاريخياً، لأسباب منها أنهم كانوا مع النساء في الخيام، وأنهم لا يعرفون أسماء الرجال الموالين والمعادين، وأن فهمهم الطفولي يومئذ لم يكن يساعد على الاستيعاب، إذ ربما كان معدل عمر أحدهم يومئذ لا يزيد عن خمس سنوات، ولم يكونوا معصومين. من جانب آخر لم يجر ذكرهم في إسناد الروايات إلا نادراً.

٤ ـ الأعداء الذين حاربوا الحسين (عليه السلام) فعلاً في كربلاء، وكانوا حاضرين خلالها، ولكنهم نجوا من الموت ورجعوا إلى بلدانهم، فأمكنهم أن ينقلوا القصة، وسمع منهم الناس عنها الشيء الكثير. ويروى أن المختار الثقفي حين أعلن الأخذ بثأر الحسين (عليه السلام) كان يقبض على أعدائه واحداً واحداً، فيسأله عما فعله في الطف، فيقتله بالشكل الذي قتل به الشهداء هناك. فقد حصل من ناحية الأعداء روايات تفصيلية عن حوادث كربلاء. وهناك أخبار أخرى من غير هذا الأسلوب رويت عن حميد بن مسلم وزيد بن أرقم. فهل تستطيع أن تعتبر هذه الأخبار عنهم من أخبار الثقاة مع أننا نعلم أنهم أشد الناس فسقاً وعناداً ضد الإمام المعصوم، بل ضد الله ورسوله أيضاً، فإذا لم يكن ثقة فكيف يمكننا الأخذ به؟ لكن الذي يهوّن الخطب أننا نأخذ التفاصيل من كتب علمائنا الموثوقين الأجلاء كالشيخ المفيد في **الإرشاد** والشيخ الأربلي في

كشف الغمة، وأبي مخنف والخوارزمي في **مقتل الحسين**، والشيخ التستري في كتابه عن الحسين (عليه السلام). إلا أننا مع ذلك ينبغي أن نكون حذرين في النقل لعدة أمور:

أ ـ إن كثيراً مما نقلوا من الروايات ضعيفة السند ومرسلة. وعلى كل تقدير لا يمكن الأخذ بها فقهياً. وقد يقال إن هؤلاء العلماء هم الذين تكفّلوا صحتها على عاتقهم. فهي معتبرة وصحيحة في نظرهم. وهذا يكفي في النقل، وإن كانت مرسلة أو ضعيفة بالنسبة إلينا. وجوابه: بالنفي طبعاً. يعني لا يكفي ذلك لأن صحتها التي يعتقدون بها إنما هي صحة اجتهادية وحدسية، وليست حسية لتكون حجة على الآخرين أو الأجيال المتأخرة.

ب ـ إن هناك كتباً مشكوكاً في نسبتها إلى هؤلاء الثقاة، مثل كتاب **مقتل أبي مخنف**، وهو مما يعتمد عليه الناس كثيراً. وأبو مخنف رجل صالح وموثوق به إلا أن نسبة الكتاب إليه مشكوكاً فيها.

رابعاً: توصيات عامة لخطباء المنبر

يحرص الشهيد محمد الصدر على أن يكون المنبر الحسيني منارة للعلم والوعي، فيرى أهمية التركيز والمحافظة على الذوق العام والأخلاق والتقيد بالمنهج العلمي في نقل الروايات الصحيحة، فيكتب النصائح التالية:

١ ـ الوعظ والإرشاد، فإنه من الضروريات والواجبات في هذا المجتمع وكل مجتمع لكي تصل الموعظة إلى أهلها ويستفيد منها أكبر عدد ممكن سواء كانت الموعظة مرتبطة بقضايا الإمام الحسين (عليه السلام) أم لا.

٢ ـ عدم إيذاء أحد من الناس أو الطوائف بكلام الخطباء.

٣ ـ التورع عند نسبة الأقوال والأفعال إلى المعصومين (عليهم السلام) وغيرهم كذباً.

٤ ـ أن يتورع من نسبة الأقوال والأفعال إلى المعصومين (عليهم السلام) وغيرهم باعتبار لسان الحال، شعراً كان ما يقوله الخطيب أم نثراً، فصيحاً كان أم دارجاً، ما لم يعلم أو يطمئن بأن لسان حالهم هو كذلك فعلاً.

٥ ـ أن يتورع الخطيب عن ذكر الأمور النظرية والتاريخية أو غيرها مما يثير شبهات حول الأمور الاعتيادية في أذهان السامعين، ويكون قاصراً أو عاجزاً عن ردها ومناقشتها أو غافلاً عن ذلك، بل يجب أن يختار ما يقوله بدقة وإحكام، وإلا فسوف يكون هو المسؤول عن عمله فيقع في الحرام من حيث يعلم أو لا يعلم.

٦ ـ أن لا يروي الخطيب أموراً مستحيلة بحسب القانون الطبيعي حتى وإن ثبتت لديه بطريق معتبر. فبعض الخطب يروي أن أحدهم تناثر مخه بعد ضربه بعمود على رأسه، ومع ذلك بقي يتكلم ويسمع ويردّ ويجيب. مع العلم أن من تناثر مخه، فهو ميت لا محالة، ولا يستطيع الكلام ولا بكلمة واحدة لأن تلف المخ طبياً يعني الوفاة وعدم إمكان استمرار الحياة.

وإذا كان البعض يقول إن ذلك قد حدث على سبيل المعجزة، نقول إن واقعة كربلاء بكل تفاصيلها ليست قائمة على شيء من المعجزات. وإلا لم يكن الإمام الحسين (عليه السلام) في حاجة إلى الحرب، وإلى تحمّل هذا البلاء الدنيوي العظيم، بل كان يمكن بدعاء واحد لله عزّ وجلّ أن يقتل كل أعدائه.

٧ ـ أن يدع ما أمكن التفلسف فيه من الحوادث، أعني التعرض إلى الحكم والأسباب التي اقتضتها، ما لم يحرز في نفسه الإصابة

كذلك وإلا فليدع ذلك إلى أهله، وهو خير له في الدنيا والآخرة من أن يكلف نفسه ما لا يطيق، أو أن يكلف السامعين ما لا يطيقون. فقد تثبت الشبهة في أذهانهم ويكون الخطيب عاجزاً عن ردها أو إقناع السامعين بالرد، فيتورط بالحرام من حيث لا يعلم. ولا يختص هذا الأمر بكربلاء. بل في كل أمور الشريعة.

٨ ـ أن لا ينسب الخطيب الحسيني وغيره إلى غير المعصومين من المؤمنين، فضلاً عن المعصومين (عليهم السلام) الوقوع في الحرام قلّ ذلك أو كثر.

فمثلاً يذكر بعض الخطباء أن نساء الحسين (عليه السلام) برزن من الخدور ناشرات الشعور، على الخدود لاطمات، والوجوه سافرات وبالعويل داعيات، كما ورد في زيارة الناحية المقدسة المروية عن الحجة (عليه السلام).

فمن قوله «ناشرات الشعور» كونهن كذلك أمام الرجال والأجانب من المعسكر المعادي، وهو مما لا شك في حرمته في الشريعة المقدسة، فيكون ذكره من باب نسبة ارتكاب المحرم إلى نساء الحسين (عليه السلام). وهذه رواية ضعيفة سنداً بحيث لا تقوم كدليل معتبر على أي شيء، فينتفي الأمر من أصله.

الفصل الرابع

اغتيال السيد محمد الصدر(*)

(*) **نشرة النخيل**، العدد ٣٩ (آذار/ مارس ١٩٩٩).

أولاً: الجريمة النكراء

أقدم النظام على جريمة أخرى باغتيال المرجع الديني الكبير في العراق، آية الله العظمى السيد محمد الصدر (قدست نفسه) واثنين من أولاده وبعض الفضلاء والمؤمنين يوم الخميس ١ ذي القعدة ١٤١٩هـ المصادف ١٨ شباط/ فبراير ١٩٩٩ في أبشع جريمة ينفّذها النظام ضمن عمليات اغتيال وتصفية مراجع الدين والعلماء في النجف الأشرف. كما تم اغتيال اثنين من مراجع الدين هما الشيخ مرتضى البروجردي في ١٢/ ٨/ ١٩٩٨ والشيخ علي الغروي في ١٨/ ٦/ ١٩٩٨.

١ ـ انتفاضة أخرى

إثر انتشار نبأ اغتيال السيد محمد الصدر (قدست نفسه) بعد أن أذاعته الإذاعة العراقية خرجت الجماهير في العديد من مدن الوسط والجنوب في تظاهرات عفوية تبدي غضبها على جريمة النظام، وحزنها وتأثرها لفقدان الشهيد، فردت عليها أجهزة الأمن والمخابرات بالرصاص والاعتقالات، فحدثت مواجهات في بغداد والنجف والكوفة والناصرية والسماوة والحلة والرميثة وسوق الشيوخ والعمارة والبصرة وبقية المدن والقرى. وقد استخدم النظام قواته المتدربة على قمع الشعب، حيث تم إرسال الدبابات والمدرعات وناقلات الجنود. وفي العاصمة بغداد، تم عزل مدينة

الثورة (يسكنها أكثر من مليون شخص) وفق خطة عسكرية كانت قد وضعت في أعقاب انتفاضة شعبان (آذار/ مارس) ١٩٩١ من أجل مواجهة أي ظرف طارئ أو انتفاضة شعبية داخل بغداد تهدد بقاء السلطة. وقد استخدم النظام قوات (فدائيي صدام) المجهزة بأحدث الأسلحة والتدريب العسكري، ويرتدي أفرادها أقنعة سوداء. فتم تطويق المناطق المضطربة وقمع المنتفضين باستخدام الأسلحة والقذائف.

وبعد انتشار خبر الاشتباكات في بغداد (في أحياء الثورة والشعلة وحي الشعب) عبر وكالات الأنباء، قام النظام بمحاولة لنفي ما حدث، فقام باستدعاء بعض الصحفيين الغربيين حيث قاموا بجولة في سيارات حكومية تجولت في المناطق الهادئة من مدينة الثورة، فادعى النظام أنه لم يحدث شيء، في حين أنه لم يسمح للصحفيين بالنزول من سياراتهم أو التحدث مع سكان المدينة، رغم أنهم شاهدوا المدينة مكتظة بالمسلحين من قوات النظام.

وشهدت مدن الجنوب انتفاضة قصيرة سقطت فيها سلطة الحكومة عدة أيام بأيدي المجاهدين ثم تم استرجاعها من قبل النظام بعد تدخل القوات الخاصة والحرس الجمهوري تدعمها طائرات الهليكوبتر والدبابات والمدرعات. وتم فرض طوق عسكري على مدينة النجف الأشرف من أجل منع دخول المواطنين إليها والتلاحم مع المرجعية الدينية. كما شهدت أكثر المدن العراقية حملة مداهمات للبيوت واعتقالات من أجل إثارة الخوف في الجماهير المنتفضة، وبحجة البحث عن منفّذي عملية اغتيال المرجع الشهيد محمد الصدر (رضي الله عنه)، وتم توزيع منشورات تدعو الشعب إلى الثورة على النظام تحت شعار (يا لثارات الصدرَيْن)،

كما تم إنزال القصاص العادل ببعض عناصر المخابرات. وحاولت مجموعة جهادية اقتحام مديرية الأمن العامة في بغداد بسيارة مفخّخة، لكنها انفجرت قبل بلوغها الهدف واستشهد فيها اثنان من المجاهدين.

٢ ـ حيلة مكشوفة

وفي محاولة لتغطية جريمته وإنكار صلته بها قام النظام بإرسال مبعوث عنه لحضور مجلس الفاتحة على روح الشهيد في النجف الأشرف لتقديم التعازي لذويه. كما قام بمحاولة بائسة حين عرض التلفزيون العراقي صورة تخطيطية لرجل يرتدي يشماغ عراقي مدعياً أنه ممن يشتبه بهم في ضلوعهم بجريمة اغتيال الصدر وهي عملية مكشوفة طالما مارسها النظام بعد تصفية خصومه. فقد قام النظام بعرض ثمانية متهمين بارتكاب جريمة قتل المرجعين البروجردي والغروي، وبين المتهمين خمسة من طلاب الحوزة العلمية، مدعياً أن دوافع القتل كانت هي الحصول على أموال الحقوق الشرعية.

٣ ـ خلفيات المواجهة بين السلطة والشهيد

كان السيد الشهيد محمد الصدر قد باشر بإقامة صلاة الجمعة في مسجد الكوفة منذ أكثر من عام، حيث يحضرها مئات الآلاف من المصلين القادمين من النجف والكوفة والمدن المحيطة بهما بشكل لم يسبق له مثيل في تاريخ العراق. وكان مسجد الكوفة على سعته يضيق بالمصلين، فتمتلئ بهم الشوارع المحيطة، حتى إن حركة السير تتوقف فيها.

وكان السيد لا يتحرج من التطرق إلى العديد من القضايا والأمور التي لا ترتاح لها السلطة. كما إن النظام يعتبر مجرد تجمّع جماهيري بهذا العدد الهائل هو بمثابة تحدٍ صارخ لسلطته، وتعبيراً عن صلابة وقدرة المعارضة الإسلامية على تعبئة الشارع العراقي كل أسبوع.

وكان السيد محمد الصدر (رضي الله عنه) قد قام بتعيين أكثر من سبعين من العلماء ممثلين له في المدن العراقية، ولإقامة صلاة الجمعة فيها. إن استمرار حضور الجماهير وسماعها خطب الجمعة من قِبَل المرجع الديني هو حدث جديد في العراق، كما إنه جعل السلطة تتحسس من ديمومته واتساعه بشكل قد يصبح خطراً جدياً يستهدف إسقاط النظام خاصة وأن السيد قد دعا في خطبته الأخيرة أفراد الجيش العراقي إلى الإنضمام إلى أبناء الشعب. الأمر الذي اعتبرته السلطة آخر الخطوط الحمراء التي يتجاوزها السيد في خطبه.

لذلك حاول النظام منع إقامة صلاة الجمعة بشتى الوسائل. فقد أرسل مبعوثاً يخبره بضرورة التوقف عن أداء الصلاة فرفض السيد ذلك. وقبل أكثر من أسبوع قام النظام بعملية إنزال مظلي على مسجد الكوفة بهدف بث الذعر في نفوس المصلين. وتم إرسال مبعوث آخر يخبره بأن المسجد سيغلق بحجة إجراء ترميمات، فرد السيد بأنه سيصلي في الشارع. هذه الصلابة في الموقف واستمرار الزخم الجماهيري والتثقيف السياسي والديني الأسبوعي جعل السلطة تفكر بتصفية السيد والتخلص من هذا الخطر الماثل أمامها. فجرت عملية الاغتيال باعتبارها أفضل الطرق التي يعرفها النظام في التعامل مع المعارضة.

٤ ـ أحداث الشهور الأخيرة

منذ شهر رجب ١٤١٩هـ بدأت الأمور تسير باتجاه المصادمة والعد العكسي. ففي ٢٣ رجب ١٤١٩ أصدر السيد محمد الصدر أمراً بالتوجه إلى كربلاء مشياً على الأقدام بمناسبة ولادة الإمام المهدي (عليه السلام) في ١٥ شعبان، حيث تتجدد ذكرى الانتفاضة الشعبانية عام ١٩٩١، وذكر فيه أن الحكومة العراقية إنما كانت قد منعت المشي إلى كربلاء يختص في زيارة الأربعين فقط. قام محافظ النجف الأشرف بالاتصال بالسيد الصدر وطلب منه التراجع عن هذا الأمر، لكن السيد أجابه بوضوح: أنا أمرت وانتهى الأمر.

بعد ذلك قام مدير أمن النجف بالاتصال بالسيد وأبلغه منع الدولة ورفضها فتوى زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) وطلب منه الرجوع عن الأمر، لكن السيد رفض، بعد ذلك جرى تصعيد التمثيل الحكومي من أجل الضغط على السيد حيث قام مدير الأمن العامة طاهر جليل حبوش بزيارة مفاجئة إلى النجف بعد اجتماع (القيادة العراقية)، ليزور السيد برفقة عناصر مسلحة لإستعراض القوة. فأبلغ السيد بتصميم (القيادة العراقية) على منع الزيارة الشعبانية، وقال له مهدداً: «إن خرجت الناس إلى الزيارة مشياً فسوف تذهب الرؤوس وتراق الدماء، وتتحمل أنت وحدك ما سوف يحصل».

وحقناً للدماء أصدر مكتب السيد بياناً جاء فيه «بُلّغنا من الجهات العليا بالمنع الشديد والأكيد عن المشي إلى كربلاء المقدسة في هذا الموسم وكل موسم، ومن هنا وجب العمل بالتقية وترك السير».

أثناء ذلك تجمّع الآلاف من أهالي مدينة الثورة (الصدر حالياً) أمام مسجد المحسن (عليه السلام) تهيُّؤاً للانطلاق في المسيرة نحو كربلاء. ولم تتمكن السلطات من تفريق هذا التجمع رغم محاولاتها المتكررة، ولكن ما إن وصل بيان السيد الصدر حتى أطاعه الجمهور وتفرقوا، ثم توجهوا لزيارة النجف تضامناً مع السيد.

وقد أثار هذا الموقف حفيظة بعض المسؤولين في النظام حيث قال: «إننا لم نستطع بكل ما فعلنا تفريق هذا التجمع، وتمكن محمد الصدر من ذلك من خلال ورقة صغيرة. إذاً خرج الأمر من أيدينا وأصبح محمد الصدر يفعل ما يشاء».

وكان لطيف نصيف الجاسم قد اجتمع بشيخ العشائر في مدينة الثورة وطلب منهم الامتناع عن التوجه إلى كربلاء أو النجف أو حضور صلاة الجمعة فرفضوا تهديده وتوجهوا إلى النجف.

وفي ليلة ١٤ شعبان ١٤١٩ توجه السيد الصدر لإقامة صلاتَي المغرب والعشاء في المرقد المقدس للإمام علي (عليه السلام)، حيث أقيمت الصلاة بحضور آلاف المصلين حتى إن الصفوف امتدت إلى الشوارع المحيطة بالحرم.

وقد اعتقل بعض الشباب المؤمنين الذين كانوا يرددون أهازيج إسلامية يحيّون فيها السيد الصدر. وقامت قوات الحرس الخاص بالانتشار في النجف بعد وصول أعداد كبيرة من الزوار مرددين شعارات الوفاء والطاعة للسيد الصدر.

وكان السيد الصدر قد أصدر حكماً بتحريم الدعاء لغير المعصوم في خطب الجمعة بعد إصرار النظام على أئمة الجمعة بأن يدعو للرئيس العراقي.

٥ ـ أحداث سبقت الاغتيال

تصاعدت حدة الموقف بين السلطة والسيد الصدر الذي تحيط به الجماهير العراقية باعتباره قائداً سياسياً ودينياً. وكانت قضية منعه من أداء صلاة الجمعة وعزل الجماهير عنه من أهم الأهداف التي حاول النظام تحقيقها. فقد أرسل النظام محمد حمزة الزبيدي، عضو القيادة القطرية ورئيس تنظيم الفرات الأوسط، إلى مسجد الكوفة برفقة عدد من أفواج الجيش ورجال الأمن لمنع السيد الصدر من إقامة الصلاة، فرفض السيد هذه الأساليب وأصر على إقامة الصلاة، وأمر الناس بالصبر والثبات. وبالفعل بقي الناس في المسجد وألقى السيد خطبتي الجمعة، وشجعهم على حضورها في الأسابيع القادمة.

وفي الناصرية تم اعتقال إمام الجمعة فقام قاضي إحدى المحاكم الشرعية (التي أسسها السيد الصدر في مدن العراق) بقيادة الجماهير نحو المعتقل مطالبين بإطلاق سراح إمام الجمعة، وتجمهروا وأدوا الصلاة أمام المعتقل رغم إطلاق السلطة الرصاص تحت أقدامهم. ثم قامت السلطة باعتقال القاضي أيضاً وكذلك مدير مكتب السيد في الناصرية ومجموعة من المصلّين.

وفي الكوت حاولت السلطة منع إقامة صلاة الجمعة لأن الإمام رفض الدعاء للنظام، ولكن بتصدي الجماهير ووقوفها وإصرارها تمّت إقامة الصلاة.

وقامت السلطة بإجراءات أشد، فأغلقت بعض المساجد والحسينيات واعتقلت ممثلي السيد في أحياء البياع وأور والشعب في بغداد.

٦ ـ «النخيل» نشرت خبر تعرض مكتب السيد للاعتداء

وكانت نشرة **النخيل** الصادرة في هولندا قد نشرت خبر تعرّض السيد محمد الصدر إلى مضايقات من قبل أجهزة النظام. ففي العدد رقم ٣٤ الصادر في تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٩٨ جاء في الصفحة الأولى أن «السيد محمد الصدر تعرض لاعتداءات شتى من قبل أعوان النظام، كان آخرها قطع التيار الكهربائي عن منزله ومكاتبه وذلك بعد خطبة له أثناء صلاة الجمعة قال فيها إن الهدايا التي تهدى للعتبات المقدسة يتم مصادرتها».

ثانياً: النظام العراقي يعرض أربعة متهمين باغتيال الصدر[1]

في عملية مفضوحة قام التلفزيون العراقي بعرض خمسة متهمين اعترفوا بالتخطيط والتنفيذ لعملية اغتيال الشهيد السيد محمد الصدر (رحمه الله)، وهم أربعة، اثنان من المعممين، وآخر طالب حوزة، والرابع نائب ضابط هارب من الخدمة، والخامس لم يُلقَ القبض عليه بعد.

وقد حاول النظام الإيحاء بأنه حزين وغاضب من العملية، وأنه بصدد البحث عن القتلة ومعاقبتهم، في أسلوب مفضوح لتبرئة نفسه من عملية الغدر. فقد عرض صورة السيد محمد الصدر بعنوان (الشهيد السيد محمد الصدر) إضافة إلى ولديه الشهيدين مصطفى ومؤمِّل. وقد كشف الأربعة دوافعهم للمشاركة في اغتيال الشهيد الصدر.

---

(١) **نشرة النخيل**، العدد ٤٠ (نيسان/ أبريل ١٩٩٩).

١ ـ إعترافات الشيخ حسن الكوفي

وهو شاب في الثلاثين من العمر، وهو الذي أصدر الفتوى بقتل السيد الصدر. يقول إن عليّ (. . .) (يقطع اللقب من الفيلم في كل مرة يذكر فيها) قد جاءه إلى منزله، وكان من المتعلّقين به وقال له: أنا مستعد لما تأمرني به. وأن هؤلاء يتحدثون ضدك. وطلب مني فتوى بقتل السيد محمد الصدر، فقلت له: لا مانع.

٢ ـ إعترافات علي (. . .)

وهو طالب سابق في الحوزة وغير معمم حيث طرده السيد محمد الصدر من المدرسة الدينية لأنه شرب الخمر، ويدّعي أن سبب طرده أنه ليس مقلّداً للسيد الصدر، ولا يقرّ بأعلميته. وهو شاب في منتصف الثلاثينيات، عليه سمات الجريمة. يقول: ذهبت إلى الشيخ حسن الكوفي وشكوت له همي (أي طرده وحقده على السيد الصدر) وقلت له: لماذا لا نقتل محمد الصدر لأنه تكلم ضد العلماء، وتحدث ضدك وعاداك وفسّقك، نقتله كي نوحّد كلمة المسلمين!! فأرجو أن تعطيني فتوى بذلك.

اتفقت مع حسين أبو هبة وحيدر على تنفيذ العملية يوم الجمعة ١٩ شباط/ فبراير ١٩٩٩ بعد صلاة المغرب. انتظرنا قرب براني (السيد) محمد الصدر حتى خرج الساعة ٧:٢٠ مساءً ثم ركب وولداه سيارة (نوع ميتسوبيشي) رصاصية اللون، ثم اقتربنا منها أثناء توجهه إلى منزله، قرب ساحة العشرين، ثم أطلقنا عليه النار، ثم هربنا وألقينا الأسلحة والأرقام المزورة في أحد البساتين.

٣ ـ إعترافات السيد أحمد الأردبيلي

وهو معمّم، في العقد الرابع من عمره، يقول عنه الشيخ حسن الكوفي: إنه غير معروف على ساحة النجف، ويدّعي أنه

من أهل الخبرة، ولكن ما هو متداول في النجف أنه ليس من أهل الخبرة، وهو ليس بثقة وهناك محلّ للطعونات عليه.

وقد علمت **النخيل** أن السيد أحمد الأردبيلي كان قد غادر العراق بعد انتفاضة شعبان عبر صفوان هو ومجموعة من المعممين الشباب. وكانت الشكوك تحوم حوله بأنه من عناصر المخابرات العراقية. ثم انتقلوا إلى إيران وسكنوا في مدينة قمّ المقدسة. وبقيت الشكوك تحوم حوله، حيث تم اعتقاله مع آخرين من قبل المخابرات الإيرانية، وبقي معتقلاً لمدة ستة أشهر، ثم أطلق سراحه فعاد إلى العراق عبر كردستان.

يقول السيد أحمد الأردبيلي في اعترافاته: تعرفت على شخص كان يأتي من شمال العراق اسمه حسين (أبو هبة) (وهو الشخص الذي نشرت صورته للبحث عنه لأنه هارب) يعمل ضد الدولة، وأخذ يتردد على النجف. وبعد اغتيال الشيخ علي الغروي والشيخ مرتضى البروجردي جاءني وقال: ربما كان السيد محمد الصدر وأذياله وراء اغتيالهما لتوطيد حوزته.

وأخبرني يوماً: أن (السيد) محمد الصدر قد أرسل السيد جعفر الصدر إلى قمّ، وافتتح مكتباً لتوسيع مرجعيته. وقد أغلق المكتب بالقوة من قبل (السيد) محمد باقر الحكيم رئيس ما يسمى بالمجلس الأعلى للثورة الإسلامية!!

وفي نهاية عام ١٩٩٨ جاءني حسين وأخبرني بأنه مكلف من الجهة التي يعمل بها على اغتيال (السيد) محمد الصدر وتصفيته جسدياً. وطلب مني مساعدته على ذلك، والتعرف على المناوئين (للسيد) محمد الصدر، والذين يكنّون العداء لهذه المرجعية. فبادرت للبحث عن أمثال هؤلاء المعادين (للسيد) محمد الصدر

في الحوزة، فتعرفت على الشيخ حسن الكوفي، وهو من المعروفين داخل الحوزة بعدائه (للسيد) محمد الصدر.

وتعرّفت في داره في الكوفة على عليّ (. . .) الذي كان يطلب منه فتوى لقتل (السيد) محمد الصدر. وتعارف حسين أبو هبة مع عليّ (. . .) وصارت علاقتهما قوية. وأن حسين أعطى علياً أموالاً اشترى بها سيارة بأرقام مزورة. وقد جاآني وأخبراني أنهما قد استطلعا المكان الذي يسير فيه (السيد) محمد الصدر. وطلبوا مني أن أعرفهم بشخص ثالث يساعدهما في تنفيذ العملية. وقد أعطيتهما أموالاً من عندي لشراء الأسلحة، وهي عبارة عن رشاشين كلاشنكوف. وأخبرني علي أن عنده صديق هرب من العراق قبل ستة أشهر، وعاد قبل أيام من إيران وسيفاتحه في المشاركة. وعلمت أنه قد فاتحه وشاركهما في تنفيذ عملية الاغتيال. سافرت إلى كركوك خوفاً من انكشاف العملية، وقد ألقي القبض عليّ هناك.

٤ ـ إعترافات حيدر علي حسين حسّان

من مواليد ١٩٧٢ من سكنة بغداد (الدورة)، نائب ضابط في قاعدة الحرية الجوية. هارب من الخدمة منذ عام ١٩٩٣. يقول: فاتحني شخص يدعى محسن علي عزيز الملقب (رسول) بالانتماء إلى تنظيم (حزب الله)، فوافقت، ثم هربت مع بعض عناصر التنظيم إلى إيران، عن طريق همّت ثم الحويزة ثم الأهواز. وهناك استقرينا في مقر تابع للمجلس الأعلى للثورة الإسلامية، ويحظى بإشراف (قراركاه فجر).

بقيت ستة أشهر ثم كلفت بالنزول إلى العراق، ثم التقيت بشخص يدعى علي (. . .) وهو أحد طلبة الحوزة العلمية. وسبق أن

فاتحته بالارتباط بحزب الله فوافق على ذلك. وأثناء حديثي معه قال لي بأنه ينوي قتل المرجع محمد صادق الصدر مع مجموعة من العناصر التي يعرفها في النجف. ثم فاتحني في المشاركة بعملية الاغتيال فقلت له إنني لست مكلفاً من قبل حزب الله بذلك، ثم ألحّ علي وقال «إنها عملية تفيدنا، وهي عملية جهادية تثير الفتن والشغب في المجتمع». ثم وافقته على ذلك، وعرّفني على حسين أبو هبة.

● ملاحظات حول الاعترافات

(١) إن النظام يكرر ما فعله سابقاً من قتل المرء ونعيه والحزن عليه، وأشهرها حين قام بتفجير طائرة وزير الدفاع السابق عدنان خير الله ثم أقام له تشييعاً ضخماً ومنحه لقب الشهيد. وباستطاعة مخابرات النظام أن تحوك مثل هذه القضية وتدرّب عناصرها على هذه الاعترافات، فلها باع طويل في ذلك.

(٢) التحركات التي سبق عملية الاغتيال تثبت أن النظام كان يخطط لها، فقد تم تطويق مدينة النجف قبل العملية بقوات جاهزة للتدخل وإخماد أية انتفاضة قد تعقب عملية الاغتيال.

(٣) إن الشهيد قد تلقّى عدة تهديدات من رموز النظام قبل اغتياله. فقد حاول محمد حمزة الزبيدي ثنيه عن أداء صلاة الجمعة حين قام بمداهمة مسجد الكوفة أثناء الصلاة وعاد خائباً بسبب موقف السيد والجماهير التي آزرته.

وقد جاءه قُصيّ بن صدام ورئيس المخابرات في منزله وهدده بالكف عن أداء صلاة الجمعة فرفض السيد. كما نقل وزير الدولة للشؤون البريطانية ديريك فاتشيت بأن صدّاماً قد أعطى أوامره لاغتيال السيد محمد الصدر.

(٤) يحاول النظام اتهام الحوزة العلمية بأنها وراء الاغتيالات التي طالت عدة مراجع مؤخراً. فقد اتهم قبل شهر ثمانية عناصر باغتيال الشيخ علي الغروي والشيخ مرتضى البروجردي، وبينهم خمسة من المعممين.

(٥) لا نكشف سراً إذا قلنا إن النظام قد زج بعناصر مخابراتية داخل الحوزة والمدارس العلمية وقد ارتدوا الزي الديني، لمراقبة التحركات من الداخل. ولعل السيد أحمد الأردبيلي واحد من هؤلاء. فقد ذكر شهود عيان أنه كان في قمّ يجيد لعبة الكاراتيه بشكل يثير الاستغراب من معمّم يفترض أنه مهتم بدروسه. كما إنه، وحسب اعترافه قد ساهم في البحث والتخطيط والدعم بالأموال لتغطية عملية الاغتيال. فهو من عناصر المخابرات التي تعاونت في جمع المعلومات أولاً ثم تجنيد الذين قاموا بالعملية. هذا إذا كانت روايته صحيحة. ولم تنفذ العملية من قبل عناصر المخابرات المدربة جيداً.

(٦) يحاول النظام الإساءة إلى بعض الرموز الإسلامية مثل السيد محمد باقر الحكيم والمجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق، وحزب الله الذي يريد الإيحاء بانتماء أمثال هذه العناصر المنحرفة إليه. كما يحاول أن يثير الشكوك حول مرجعية السيد محمد الصدر والإيحاء بأنها وراء اغتيال المراجع السابقين

(٧) لماذا لم يسمح النظام بتشييع جثمان السيد محمد الصدر وولديه بصورة لائقة وعلنية إذا لم يكن له ضلع فيها؟ ولماذا أصر على تشييعه ودفنه سراً وليلاً، ولم يسمح لأحد بتشييع جنازته بل أتى بعائلته قبل الفجر ليشهدوا دفنه. مع العلم أن النظام يخرج مواكب لتشييع الأطفال الذين ماتوا في المستشفيات.

(٨) تم قطع الاتصالات الهاتفية بين المحافظات قبل ارتكاب الجريمة، وأشيع أن طائرات التحالف قد قصفت مراكز الاتصالات. وأعيدت الاتصالات بعد يومين من تنفيذ عملية الاغتيال مما يدل على أن عملية القطع كانت مقصودة.

(٩) اضطرار النظام لهذه التمثيلية يشير إلى الضغط الشعبي عليه، وأهمية تبرئة عناصره من عملية اغتيال السيد محمد الصدر. فهو لم يفعل مثلاً حين قام بإعدام الشهيد السيد محمد باقر الصدر عام ١٩٨٠ وأخته العلوية آمنة الصدر. بل حتى لم يصدر قراراً أو تفسيراً أو توضيحاً بذلك.

ثالثاً: تفاصيل جديدة حول اغتيال الصدر[٢]

وصلتنا رسالة من أحد الإخوة الذين غادروا العراق، يروي فيها تفاصيل جريمة اغتيال السيد محمد الصدر (رضوان الله عليه) جاء فيها:

كانت الجريمة محاكة ومدبرة وليست محض صدفة، فكان الإعداد لها مسبقاً، حتى إنهم أخطأوا وأذاعوا نبأ مقتل السيد يوم الخميس مع العلم أنه قتل يوم الجمعة. عموماً لقد رتبوا لها. وسبق يوم الجمعة حركة غير طبيعية، وكان عندهم إنذار في الأيام التي سبقت يوم الجمعة بحجة أن الرئيس سيزور النجف. وكان في تلك الأيام قُصيّ ومحمد حمزة الزبيدي موجودين في النجف.

أما السيد (قدّس الله نفسه) فكان يعلم بالمؤامرة، وقد لمّح إلى شيء من هذا القبيل. وقد وقعت الجريمة حوالى الساعة الثامنة

---

(٢) نشرة النخيل، العدد ٤٩ (شباط/ فبراير ٢٠٠٠).

مساءً من يوم الجمعة عندما كان السيد عائداً من (البراني)، وبعد أن أدى صلاتَي المغرب والعشاء في صحن الإمام علي (عليه السلام). وكان بصحبته ولده مؤمل الذي كان يقود السيارة، وكذلك السيد مصطفى الذي كان يجلس في المقعد الخلفي. ولما وصلت سيارتهم مقابل معهد إعداد المعلمات هاجمتهم سيارة من نوع أولدزموبيل ٩٠ بيضاء اللون، حيث أطلق الرصاص ففقد السيد مؤمل السيطرة على السيارة فاصطدمت بشجرة ووقفت. وبعد فترة وجيزة جاءت سيارة وحملت السيد محمد الصدر فقط إلى المستشفى، وتركت ولديه. وبعدها جاءت سيارة وحملت السيدين مؤمل ومصطفى. ولما وصلوا إلى المستشفى كان السيد محمد الصدر وولده السيد مؤمل قد فارقا الحياة. أما السيد مصطفى فكان على قيد الحياة وفارقها في المستشفى. وعلمت من أحد المقربين بأن السيد مصطفى وضع في الثلاجة وكان لا يزل حياً.

وكان السيد محمد الصدر (أعلى الله مقامه) قد أصيب في رأسه. طبعاً هذا ما نقل لي لأنه لم يرَ الحادثة أحد تقريباً، وقد نفذت الجريمة بصورة سريعة، وقد اعتقلوا العشرات من طلاب الحوزة العلمية. وبعد فترة ظهر على شاشة التلفزيون الشيخ حسن الكوفي والسيد أحمد الأردبيلي ومعهما شابان لم أرهما، وقيل إنهما ارتكبا جريمة اغتيال السيد محمد الصدر. ونقل لي صديق وهو طبيب نقلاً عن طبيب آخر كان موجوداً حينذاك في المستشفى في ردهة الطوارئ، أنه عندما وضع الشهداء على الأسرّة دخل رجل يحمل كاميرا، وأغلقوا الباب كي يصوّر المصور بهدوء. وبعدها قاموا بدفن السيد، وطبعاً لم يره أحد سوى السيد مقتدى، وكانت عملية الدفن قد تمت في منتصف الليل. وكانت السلطات تعتقل كل شخص يخرج في تلك الليلة. وصدر قرار بمنع التجول في النجف، مع

العلم أن النجف كانت محاطة قبل أيام بالدبابات والمدافع والمدرعات، وحتى في داخل النجف كانت هناك مجموعات من الدبابات والمدرعات. عموماً إن الجريمة لم تنطوِ على الناس، ولم يصدقوا أكاذيب السلطة. فقد عرف الناس من الذي قتل السيد، وإنا لله وإنا إليه راجعون. وأما الآن فالحوزة تعيش حالة من الموت، وبدأت الحرب ضد طلبة السيد (رحمه الله)، حيث بدأت سلسلة من الاعتقالات والإعدامات العشوائية ضد طلبة السيد فقط. وقد اضطر العشرات منهم إلى مغادرة العراق.

الفصل الخامس

ردود الأفعال على اغتيال الصدر

أولاً: رد فعل العراقيين في هولندا على اغتيال الصدر الثاني[1]

قبل استشهاد الصدر الثاني بأسابيع جاءني أحد الإخوة، وهو طبيب كان يزور سوريا، بشريط فيديو لصلاة الجمعة التي أقامها الصدر الثاني في مسجد الكوفة. شاهدت الشريط واستمعت مشدوداً إلى هتافات الجماهير التي يزدحم بها المسجد والشوارع والساحات المحيطة به. إن إقامة صلاة الجمعة ليست بالأمر السهل في الشارع العراقي، فالتجمع الجماهيري بحد ذاته رفض للنظام واستفزاز لسطوته، فكيف بهذه الجموع المليونية التي لم يشهدها تاريخ العراق؟

لقد نجح الصدر الثاني في استدعاء جماهير الأمة لتثبت التزامها بعقيدتها وولاءها لمرجعيتها من خلال حضورها الأسبوعي في الشارع. كانت خطبه تجمع بين بساطة المفردات وعمق المفاهيم التي يطرحها. كان يستخدم لغة الشارع بلهجة نجفية ونبرة حوزوية محبوبة. وتتخلل خطبه تعليقات بالعامية تشعرك بعمق عراقيته وأريحيته. لقد أثارتني تلك الشعارات التي يرفعها الصدر الثاني وترددها الجماهير خلفه مثل «نعم نعم للإسلام» و«نعم نعم للحوزة» و«كلا كلا لأمريكا»، «كلا كلا لاسرائيل»، «كلا كلا للاستكبار». وشد انتباهي تركيز الشهيد الصدر الثاني على العداء لاسرائيل، حتى تشعر أنه يقصد بها السلطة فيقول مثلاً «لو اجتمعت الحوزة مع الأمة لهزمنا إسرائيل»، وفي

---

(١) **نشرة النخيل**، العدد ٦٠ (شباط/ فبراير ٢٠٠١).

خطبة أخرى يقول «. . لكان في إمكاننا مجابهة إسرائيل بنفسها ونحن عزل عن السلاح». وفي خطبة ثالثة يقول «الاستعمار المسيحي الغربي والجلاوزة الموجودون في إسرائيل أيضاً قتلوا الحسين (عليه السلام)، وما أقدر أحكي». فالمعروف أن العراق ليست من دول المواجهة مع إسرائيل. كما إن الاستعمار وإسرائيل لم يكونا موجودين حين قتل الحسين (عليه السلام) سنة ٦١ هـ. فالسيد الصدر يشير بوضوح إلى النظام الذي يقتل أبناء الحسين (عليه السلام)، وعبارة «ما أقدر أحكي» برقية مشفرة لقراءة ما بين السطور في خطبه.

وسرعان ما انتشر الشريط في هولندا، وجاءتنا أشرطة أخرى زادت من تفاعل الجماهير العراقية مع الصدر الثاني، وزرعت الأمل في حدوث تغيير شعبي تقوده المرجعية الدينية بعد السنوات العجاف من غياب المرجعية عن الحضور في الساحة السياسية العراقية المعارضة. وقد آلمتنا كثيراً تلك المقالات والتصريحات المعادية لحركة الصدر الثاني ووصفه بأوصاف واتهامات غير لائقة.

لم تدم تلك الفرحة والاستبشار بالنصر سوى برهة قليلة حتى جاءتنا أنباء اغتيال الصدر الثاني. وكنت في تلك الفترة في زيارة إلى لندن. وفي يوم السبت المصادف ٢٠/ ٢/ ١٩٩٩ كنت على موعد مع السيد حسين الشامي لزيارته ظهراً قبل عودتي عصراً إلى هولندا. طرقت الباب فوجدت السيد الشامي حزيناً واجماً فسألته: ماذا جرى؟ فقال: لقد اغتالوا السيد محمد الصدر. فكان الخبر كالصاعقة. فسألته عن التفاصيل فقال: أدخل أولاً فالسيد حسين هادي الصدر موجود عندي. دخلت فوجدت السيد حسين الصدر في حالة حزن وإرهاق وإعياء من هول الصدمة، كما إنه مصاب بالسكري. عزَّيته بالمصاب الجلل، ثم استدعي له الطبيب. اتصلت بالإخوة في هولندا وأخبرتهم بالنبأ وضرورة الاستعداد لهذا الحدث المحزن.

وصلت إلى هولندا، مدينة دوردريخت، حيث أقيم، مساءً، وتوجهت مباشرة إلى مبنى الجمعية الثقافية العراقية حيث جاء الناس يعزّي بعضهم بعضاً ويترقبون الأخبار. فتحدثت لهم عما أعرفه من تفاصيل. وفي اليوم الثاني حضرت اجتماعاً طارئاً عقده مجلس الجمعيات العراقية لتحديد الإجراءات والنشاطات اللازم اتخاذها. فتقرر القيام بتظاهرة في لاهاي تنطلق من محكمة العدل الدولية لتنتهي أمام السفارة العراقية. كما أعلن عن اعتصام سياسي في إحدى الكنائس لجلب اهتمام الرأي العام لهذا الحدث.

وفي يوم الثلاثاء ٢/٣/١٩٩٩ خرجت أكبر تظاهرة عراقية إسلامية في هولندا رغم غزارة الأمطار والرياح العاتية. وشارك فيها عراقيون قدموا من ألمانيا وبلجيكا. وحمل المتظاهرون نعشاً رمزياً ملفوفاً بالسواد. وألقيت كلمات وأشعار، كما أقيمت صلاة الجماعة في الشارع.

وقام وفد يمثل مجلس الجمعيات العراقية بتسليم مذكرة احتجاج إلى وزارة الخارجية الهولندية طالب فيها بالضغط على مجلس الأمن من أجل تأسيس محكمة دولية خاصة لمحاكمة صدام، وتشكيل لجنة تحقيق دولية للكشف عن مرتكبي جريمة اغتيال الصدر الثاني. وقد ردت الوزارة على تلك المذكرة (أدانت فيها جريمة اغتيال الزعيم الروحي السيد الصدر وولديه) و«أن الاتحاد الأوروبي يفكر بمشروع قرار حول وضعية حقوق الإنسان في العراق. في هذا المشروع سيتم إدانة الخروقات الواسعة والحادة لحقوق الإنسان في العراق. وهنا يمكن إدراج اغتيال الصدر في ذلك القرار».

وقامت الصحافة الهولندية بتغطية التظاهرة حيث نشرت صحيفة **التلغراف** صورة للمتظاهرين وهم يؤدون صلاة الجماعة، كما نشرت صحيفة **تراو** ووكالة الأنباء الهولندية صوراً عنها.

ثانياً: إعتصام عراقيين احتجاجاً على اغتيال الصدر[٢]

أثار انتشار خبر اغتيال السيد محمد الصدر (رض) ضجة في الأوساط الإسلامية خارج العراق، فقد أقيمت مجالس الفاتحة، وسارت التظاهرات في مختلف العواصم الأوروبية، وأصدرت المؤسسات والأحزاب الإسلامية والعراقية بيانات تستنكر فيها جريمة اغتيال الصدر.

وفي هولندا أقيمت مجالس الفاتحة في أغلب المدن التي توجد فيها الجالية العراقية مثل أوترخت ودوردرخت وخروننكن وأسن ودنهاخ ودنبوش وغيرها.

وقام مجلس الجمعيات العراقية في هولندا باعتصام يومي الجمعة والسبت ٢٦ ـ ٢٧/ ٢/ ١٩٩٩ في (كنيسة الواحة) في العاصمة السياسية لاهاي.

وتضمن برنامج الإعتصام عقد ندوة لمواكبة تطورات الأوضاع في العراق. تحدث فيها أولاً الحاج أبو جعفر المهندس (صلاح عبد الرزاق) عن أهمية انفتاح المرجعية الدينية على الأمة ومتابعة تربيتها ورعايتها ميدانياً. وقال:

«منذ غياب الشهيد محمد باقر الصدر والساحة العراقية تعاني من فراغ قيادي يتمثل بفقدان قائد ميداني يرعى الأوضاع اليومية لمختلف شرائح الشعب العراقي. وكانت قيادة السيد محمد باقر الصدر تمثل منعطفاً تأريخياً في مسيرة المرجعية، حتى كنا نعتقد بأننا سننتظر طويلاً قبل أن يملأ فراغه مرجع آخر. ولكن هذه العائلة العريقة أبت إلا أن تعطي مرجعاً قيادياً آخر في درب الشهادة. لقد كان السيد محمد الصدر ثمرة من جهود الشهيد الصدر».

تعاني المرجعية الدينية في العراق الضغط والاختناق ومع ذلك

---

(٢) نشرة النخيل، العدد ٣٩ (آذار/ مارس ١٩٩٩).

نجد بين الحين والآخر من يتصدى للعمل السياسي وقيادة المواجهة الميدانية ضد السلطة. الأمة بحاجة إلى القائد، ومن دون العلاقة الوثيقة بين المرجعية والأمة يبقى الخلل قائماً في الجانبين. فإما أن تتحول المرجعية إلى مؤسسة للفتوى وتفقد صفة القيادة، أو أن يتحول المجتمع إلى مجرد أفراد مشتتين لا قائد لهم.

إن عائلة الصدر تمثل النهر الثالث في العراق إضافة إلى دجلة والفرات. هذا النهر، نهر الدم، نهر الشهادة، نهر التضحية والبطولة، نهر الوعي والعلم والفقه. وإن الشهيد السيد محمد الصدر يمثل مشروعاً إسلامياً حضارياً قادراً على مواجهة الأوضاع الخانقة في العراق بعد أن أيقن الكثيرون أنه لا مجال لعمل جماهيري علني ضد السلطة بعد الانتفاضة. لقد استطاع السيد محمد الصدر بالعمل الدؤوب والعلاقات القوية بشرائح الشعب، والتضحيات المتواصلة أن يخلق قاعدة كبيرة من الأمة... تمكن من استدعائها إلى الحضور في الشارع لأداء صلاة الجمعة. لقد استطاع أن يختصر أزماناً طويلة ويجلب هذه الجماهير إلى الشوارع لتؤكد الحضور الإسلامي المستمر في الشارع العراقي.

إن إقامة صلاة الجمعة ليست بالأمر السهل في العراق. إن التجمع وحده في الشوارع والمساجد يعتبر تحدياً للنظام حتى لو لم يتضمن عرض مفاهيم إسلامية وسياسية وثورية. الاجتماع الجماهيري بحد ذاته رفض للنظام واستفزاز لسلطته. كانت خطب السيد محمد الصدر تتضمن العديد من المفاهيم الإسلامية السياسية والانتقادات المباشرة وغير المباشرة للسلطة وسياستها. إن ارتداء السيد كفنه أثناء أداء صلاة الجمعة يوحي أن الرجل كان مصمماً على الشهادة. فهو يعلم أن المضي في هذا الطريق سيتوَّج بالشهادة.

لم يكن همّ السيد محمد الصدر (رحمه الله) هو قصير دائرة نشاطه وهمومه على النجف فقط، فهذه نظرة ضيقة، أي أن يعمل المرجع داخل النجف وفي حدود الدرس والمسجد، وإنما أراد أن

أن يكون على اتصال مع كل الشعب العراقي وفي جميع مناطقه. فقام بتعيين أكثر من ٧٠ إمام جمعة يقيمون صلاة الجمعة في أغلب المدن العراقية وخاصة في الوسط والجنوب.

بإمكاننا أن نتصور ماذا تعني إقامة صلاة الجمعة في العراق، جمهور واسع من المصلين، نساء ورجالاً، شباباً وشيباً، صفوف منتظمة، مشاعر التضامن والتآزر بين طبقات الشعب العراقي، حضور أسبوعي يتفرغ للعبادة وتلقي التوجيهات وتعميق المفاهيم، ترسيخ الصمود والرفض لسياسة النظام، إمام يحرك الجمهور في خطبه وعباراته، متابعة المصلين له في حركاته. كل هذا العطاء الأسبوعي لم يكن ليحدث لولا صلاة الجمعة. كانت الجماهير تعبّر عن تفاعلها وتأييدها للمرجعية من خلال الهتافات والشعارات والهوسات (أهازيج شعبية) التي تعلن الولاء والوفاء للسيد محمد الصدر، بل حتى تكرار عبارة «الصلاة على محمد وآل محمد» كان يتضمن هتافاً مكبوتاً، كأنه يريد أن يصرخ بقوة «يسقط صدام». هكذا رأينا الحماس والانفعالات المكبوتة في وجوه المصلين وحركاتهم.

وتحدث السيد بهاء الأعرجي (شقيق إمام جمعة الكاظمية) عن ملامح شخصية الشهيد وعلاقته الوثيقة بالأمة فقال:

بدأ الناس يتعرفون على السيد محمد الصدر بعد الانتفاضة عام ١٩٩١. وبعد وفاة السيد عبد الأعلى السبزواري، عام ١٩٩٣ أعلن السيد محمد الصدر عن مرجعيته. هنا تدخل النظام ولأول مرة في أمور المرجعية من أجل تفرقة المسلمين وبذر الشكوك حول المراجع، حيث أعلن التلفزيون العراقي أن القيادة العراقية تهنئ السيد محمد الصدر بتزعمه الحوزة العلمية، وأنها تؤيد المرجعية العربية. هذا البيان أثرّ سلبياً على عامة الناس حيث إنه يتضمن بأن هذا المرجع بات محسوباً على الدولة، وهو أمر مرفوض في الوسط الشيعي. وفي

كثير من المناسبات الحكومية كان يجري إدراج اسم السيد محمد الصدر بأنه مثلاً، يهنئ صداماً بمناسبة كذا!! بالطبع كان السيد بعيداً عنها ولم يبعثها والدليل ما ذكره السيد نفسه حين سئل عن ذلك يوماً فقال: أنا أبدأ رسائلي بعبارة «بسمه تعالى» بينما الرسائل التي ينسبها الإعلام العراقي لي تبدأ بعبارة «بسم الله الرحمن الرحيم». في عام ١٩٩٥ بات أغلب المقلدين في العراق يقلدون سماحته وأكثرهم من الشباب. كانت علاقته وثيقة جداً بالشباب.

في عام ١٩٩٦ أصدر حكماً بالولاية، أي ليس فتوى، بإقامة صلاة الجمعة. ذلك يعني أن الحكم يسري على مقلديه ومقلدي غيره، بعكس الفتوى التي تسري على مقلديه فقط. بدأت أول صلاة للجمعة في الكاظمية ثم في الشعلة والثورة والبياع في بغداد ثم تلتها مدن العراق.

كان السيد قائداً ميدانياً يصدر فتاواه حول الموضوعات مباشرة وليس في الأحكام العامة فقط. مثلاً منع فتح محالّ تسجيلات الأغاني في الكاظمية، كما منع بث الأغاني في باصات نقل الركاب الصفراء. وأبدى عدم ارتياحه لوجود محلين لبيع الخمور في مدينة الشعلة، وأبلغ الناس بمهلة أسبوع لإغلاقهما. وبالفعل هاجم الناس المحلين وتم إغلاقهما.

وقرأ سماحة السيد عبد الستار مجلساً حسينياً قارن فيه بين سيرة الفقيد السيد محمد الصدر والإمام الحسين (عليه السلام) وأنه خرج مثله لطلب الإصلاح في أمة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وبذل مثله دمه في سبيل الإسلام.

هذا وقامت وفود وشخصيات قادمة من مختلف المدن الهولندية لزيارة المعتصمين والتعبير عن تضامنهم مع هذه المبادرة ومساندة كل النشاطات التي تخدم القضية العراقية وتساهم في وحدة الأمة في المهجر.

كما أقيم في قاعة الكنيسة معرض للصور التي تعرض مأساة

الشعب العراقي داخل العراق وخارجه. كما عرضت أفلام فيديو لخطب الجمعة لسماحة السيد محمد الصدر (رحمه الله) وكذلك أفلاماً عن انتفاضة شعبان ١٩٩١ المجيدة. ورفعت لافتات وشعارات تعلن وفاءها للشهيد الصدر، وتطالب المجتمع الدولي بالوقوف إلى جانب الشعب العراقي في محنته وتدعو إلى محاكمة الرئيس العراقي.

ثالثاً: تظاهرة حاشدة للعراقيين في لاهاي[٣]

لم تَحُلْ غزارة الأمطار والرياح العالية دون خروج مئات العراقيين في التظاهرة التي دعا إليها مجلس الجمعيات العراقية يوم الثلاثاء المصادف ٢ آذار/ مارس ١٩٩٩. فقد حضر المؤمنون من جميع المدن الهولندية إلى العاصمة السياسية دنهاخ ليعبروا عن غضبهم وتنديدهم بالجريمة الوحشية التي ارتكبها النظام ضد المرجعية الدينية حين وجّه رصاص الغدر تجاه المرجع الديني السيد محمد الصدر (رحمة الله عليه) وولديه وصهره وجمع من المؤمنين والعلماء في مذبحة وحشية أمام منزله بعد أن رفض الانصياع لأوامر النظام بالتوقف عن أداء صلاة الجمعة، وخرق مقررات الإقامة الإجبارية التي فرضت عليه في منزله. فما كاد يغادره حتى انهال عليه الرصاص ليذهب إلى ربه صابراً محتسباً شاكياً إلى الله تعالى الظلم العظيم الذي يحلّ بالعراق.

منذ الظهيرة بدأت الجماهير تتجمع وهي تهتف وفاءً للصدر الشهيد والمضيّ في طريقه، طريق الرفض والإباء، طريق ذات الشوكة. ثم سارت التظاهرة باتجاه سفارة الغدر والخيانة، سفارة النظام في دنهاخ، وهي تردد شعارات «نعم نعم للإسلام» و«بالروح بالدم نفديك يا شهيد».

---

(٣) المصدر نفسه.

وقد تقدم التظاهرة نعش رمزي لُفّ باللون الأسود، وعليه عمامة سوداء ترمز إلى الشهيد السيد محمد الصدر. وقد حمل النعش طوال التظاهرة ستة أشخاص، وتناوب عليه لفيف من المؤمنين ليعلنوا تمسكهم بالمرجعية الدينية، القيادة الحقيقية للشعب العراقي.

وشارك إخوة قدموا من بلجيكا وألمانيا تضامناً مع الحدث الجلل، وليعلنوا للعالم أن العراقيين في الخارج لم ينسوا قضيتهم وعقيدتهم ومواجهتهم للنظام الظالم، وليصرخوا عالياً مرددين نداءات الحرية والعدل والسعي المتواصل لإسقاط النظام. وأن الدماء الزكية التي سُفكت في هذا السبيل لن تنسى ولن تذهب سدى.

١ ـ كلمة السيد عبد الستار الموسوي

وألقى السيد عبد الستار الموسوي، وهو يرتدي كفناً تأسياً بالفقيد الصدر، كلمة بالجماهير المحتشدة جاء فيها:

«نقف في هذا اليوم ننعي للعالم الإسلامي روحاً مقدسة، ونعزّي صاحب الأمر والزمان (عج) ومن مشى على نهجه ممن استخلفهم على الأمة بنص حديثه ووصيته. نعزيهم بتلك الدماء التي أريقت في ظهر الكوفة، واختلطت بدماء علي والحسين (عليهما السلام). سيدي يا صادق الصدر، لعن الله أمة قتلتك وانتهكت حرمتك. إن يد الغدر التي مكرت بالشهيد الصدر هي نفسها التي تمكر اليوم بصدرٍ ثانٍ في العراق. هذا الصدر الذي أعاد للشعب العراقي هيبته عندما يقف مصلياً متحدياً تلك الطغمة الفاسدة التي نزّت على شعبنا الجريح، وغصبت حريته وكرامته، وقتلت أبراره.

لقد استشهد السيد محمد الصدر من اليوم الذي ارتدى فيه كفنه، واقفاً يصلي بتلك الحشود، لا خائفاً ولا وجلاً، والأبطال من خلفه في الكوفة ومدن العراق الأخرى، يؤم الشرفاء في محراب جدّه. ولو شاؤوا لقتلوه فيه ولكن كرهوا أن يعيدوا

ذكرى علي بن أبي طالب (عليه السلام) واستشهاده في محرابه.

لقد ظنوا أنهم قادرون على قتل الصلاة في نفوس الأجيال وقطع الصلة بيننا وبين الله، ولكنهم غفلوا عن أن الصدر جعل في كل مدينة وقرية صدراً آخر. ولا أدري على ماذا أعزي الشعب الجريح الذي نسينا مأساته ومعاناته، ونحن في سبات عميق وفرقة جاهلية تزداد يوماً بعد يوم، وجرأة على علمائنا وقادتنا وديننا مما جعل الأعداء يصولون ويجولون.

وألقى الأخ الشاعر أبو هديل قصيدة بالمناسبة، كما ألقيت أهازيج شعبية (هوسات) أثارت حماس الجماهير وهي تتفاعل مع الحدث الجلل يملؤها الغضب

وكان وفد ثلاثي قد قام بتسليم مذكرة احتجاج إلى وزير الخارجية الهولندي الذي أناب عنه مساعده لشؤون الشرق الأوسط. وبعد أن بيّن الوفد هدف التظاهرة ومطالبها تمنى على وزير الخارجية أن يحملها إلى مجلس الأمن الدولي وممارسة ضغط دولي على النظام العراقي.

هذا، وألقى الحاج أبو جعفر المهندس مذكرة الاحتجاج التي تعبّر عن موقف ورأي المتظاهرين ومطالبهم جاء فيها:

«مذكرة احتجاج

دنهاخ في ٢ آذار (مارس) ١٩٩٩

السيد وزير الخارجية الهولندي فان آرتسن

تحية طيبة

بالتأكيد قد بلغكم ما حدث مؤخراً في العراق حيث قام نظام صدام بارتكاب جريمة وحشية حين قام باغتيال سماحة المرجع

الديني الكبير آية الله محمد الصدر واثنين من أبنائه يوم الجمعة المصادف ١٩ شباط (فبراير) ١٩٩٩ في مدينة النجف الأشرف. لقد كان آية الله الصدر من العلماء المشهورين حيث تحضر حشود كبيرة لصلاة الجمعة التي كانت تقام بإمامته.

إثر ذلك خرجت مظاهرات احتجاج شعبية في مختلف المدن العراقية منها مدينة الثورة، من ضواحي بغداد، ومدن البصرة والعمارة والسماوة والناصرية والحلة والرميثة وغيرها في جنوب العراق. لكن النظام العراقي واجهها بالرصاص، فحصلت مصادمات ذهب ضحيتها العديد من العراقيين. كما قامت قوات النظام باعتقال آلاف المواطنين، وأخذوا إلى أماكن مجهولة.

إن اغتيال آية الله الصدر يأتي في سلسلة اغتيالات استُشهد فيها عدد من علماء الدين المسلمين في العراق حدثت في خلال عام واحد. كما إن السيد فان در ستول المقرر الدولي لحقوق الإنسان في العراق قد دان تلك الاغتيالات، وصرح بأنها تأتي لإسكات المعارضين لصدام.

إن السكوت على جرائم صدّام جعله يتمادى في اغتيال علماء الدين وأبناء الشعب العراقي. لقد بات صدام ونظامه مرفوضاً من قبل المجتمع الدولي والرأي العام العالمي. والشعب العراقي يتطلع إلى القوى المحبة للسلام والحرية والديمقراطية العمل لإزاحة هذا النظام عن الساحة السياسية.

إننا نناشدكم باعتباركم وزير خارجية هولندا، البلد العضو في مجلس الأمن الدولي، أن تمارسوا دوركم في مساندة مطالبنا وهي:

١ ـ الضغط في مجلس الأمن الدولي لتأسيس محكمة دولية خاصة لمحاكمة صدام على جرائمه بحق الشعب العراقي والإنسانية.

٢ ـ تشكيل لجنة تحقيق دولية للكشف عن مرتكبي جريمة

اغتيال آية الله السيد محمد الصدر ومعاقبتهم.

٣ ـ إستخدام جميع الوسائل اللازمة لمنع نظام صدام من قمع الشعب العراقي وانتهاك حقوق الإنسان، وتطبيق قرار مجلس الأمن الدولي المرقم ٦٨٨ وحماية الشعب العراقي.

٤ ـ تقديم توصية إلى السيد ماكس فاندر ستول وتمكينه من إرسال مراقبين دوليين لمراقبة انتهاكات حقوق الإنسان في العراق.

المخلص
مجلس الجمعيات العراقية
في هولندا

٢ ـ التظاهرة في الصحافة الهولندية

وقد حضر لتغطية التظاهرة عدد من المراسلين منهم مراسل وكالة رويتر التي بثت عدداً من الصور نشرت إحداها في صحيفة **تراو** الهولندية. كما شاركت وكالة الأنباء الهولندية ANP التي أرسلت الخبر وصوراً عن التظاهرة في بعض الصحف منها صحيفة **التلغراف** الواسعة الانتشار في هولندا، حيث نشرت صورة لصلاة الجماعة التي أداها المتظاهرون قبل الانطلاق.

رابعاً: تظاهرة عراقية في لاهاي في الذكرى الثانية للصدر

بدعوة من مجلس الجمعيات العراقية في هولندا تظاهر مئات العراقيين في لاهاي اليوم العاشر من شباط/ فبراير ٢٠٠١ أمام البرلمان الهولندي لإحياء الذكرى الثانية لاستشهاد السيد محمد محمد صادق الصدر (رض). وقد حمل المتظاهرون لافتات تطالب المجتمع الدولي بمحاكمة صدام وحماية حقوق الإنسان في العراق

وإيقاف الممارسات الوحشية للنظام ورفع الحصار عن الشعب العراقي. كما رددوا شعارات بالهولندية والعربية تندد بالنظام وجرائمه. كما رددوا الشعارات التي كان الشهيد محمد الصدر يرددها في صلاة الجمعة مثل «نعم نعم للإسلام» و«نعم نعم للحوزة» إضافة إلى «نعم نعم للصدر».

وألقى السيد عبد الستار الموسوي كلمة أكد فيها أن «ارتباطنا بعلمائنا الرساليين ليس ارتباطاً بأشخاص، إنما ارتباط بمنهج رسالي رباني أصيل. فإن رحل عنا هؤلاء العلماء كأجساد، فلن يرحلوا عنا كقيمة حضارية فاعلة، ولن يرحلوا عنا كموقف رسالي أصيل. إنهم علامات مضيئة، إنهم فكرة إنسانية واعية لا بد أن نهتدي بهداها. إنهم مقياس يمكننا به أن نحاكم كل قيمة مضطربة في واقعنا الإسلامي وكل وجود مترهّل لا يعبأ إلا ببناء الذات.

إن الشهيد الصدر، الذي نحتفي به اليوم، لم يكتفِ بالتنظير لأن الكلمة دون فعل لا تنهض بالأمة، بل نزل إلى واقع الإنسان المضطهد . . هذا الواقع الذي تهيّبه كثيرون. فكان في قلب الأحداث بفكره وقلمه وخطابه وفتاواه وكل وجوده. لقد كان الشهيد الصدر هبة إلهية للعراق الجريح لتتعمق فيه روح البسالة والإباء والكبرياء والرفض والتضحية». وفي الختام تمت قراءة بيان التظاهرة باللغتين، ثم قام وفد بتسليم البيان إلى رئيسة البرلمان الهولندي.

● بيان التظاهرة العراقية في لاهاي ١٠ شباط/ فبراير ٢٠٠١

قدم المتظاهرون بياناً جاء فيه:

تمر هذه الأيام الذكرى السنوية الثانية لشهادة المرجع الديني السيد محمد الصدر وولديه الشهيدين. ونحن إذ نحيّي ذكرى قائد تاريخي تصدّى للظلم والقمع والقهر الذي يعاني منه الشعب العراقي

نعلن رفضنا المتواصل للنظام العراقي. إن شهادة السيد محمد الصدر تتويج لمسيرة الشعب العراقي الصامد والمجاهد ضد جميع سياسات وممارسات النظام العراقي. تلك السياسات التي أدت إلى فقدان العراق سيادته وثرواته واستقلاله، بالإضافة إلى الخسائر البشرية جراء استمرار سياسة القتل والتشريد، وتبديده ثروات العراق عبر التبرعات السخية لهذا الطرف أو ذاك، ومنها تبرعه بمائة مليون يورو لفقراء أمريكا!

إن الجماهير العراقية تعاهد الصدر والشهداء على مواصلة دربهم من أجل تحقيق الأهداف التي ضحّوا من أجلها، في بناء مستقبل مشرق لعراق حرّ، تعدديّ، يمارس فيه جميع أبناء العرقية حرياتهم الدينية والسياسية على اختلاف انتماءاتهم الدينية والعرقية والمذهبية.

إن المشاركين في هذه التظاهرة اليوم يناشدون الرأي العام العالمي والمنظمات الدولية من أجل إيقاف النزيف البشري والاقتصادي في العراق، ويطالبون ببذل الجهود نحو ما يلي:

١ ـ محاكمة صدام في محكمة دولية بسبب جرائمه بحق الشعب العراقي والإنسانية.

٢ ـ رفع الحصار الاقتصادي عن العراق وتخفيف معاناة الشعب العراقي من الجوع والمرض ونقصان الخدمات المدنية والطبية.

٣ ـ استخدام جميع الوسائل اللازمة لمنع نظام صدام من استمراره بقمع الشعب وانتهاك حقوق الإنسان، وتطبيق قرار مجلس الأمن الدولي المرقم ٦٨٨.

٤ ـ رعاية اللاجئين العراقيين الهاربين من ظلم النظام العراقي وتوفير الحماية اللازمة لهم في شتى أنحاء العالم.

مجلس الجمعيات العراقية في هولندا

خاتمــــة

● عام على شهادة مرجعية الميدان[1]

عام يمرّ على جريمة اغتيال المرجع الديني السيد محمد الصدر (طاب ثراه) وولديه الشهيدين. عام خبا فيه نجم آخر من سماء المرجعية الرشيدة.. . نجم كان ضوؤه مناراً للثائرين والصامدين والرافضين للخنوع واليأس.. . وبلسماً للشعب المنتفض الجريح الذي لم يزل يداوي جراح الانتفاضة الشعبانية العارمة.

برزت قيادة الصدر الثاني كلمحة خاطفة من عمر الزمن الذي من النادر أن يجود بشخصيات ذات تأثير عميق يجعل التاريخ منصاعاً له، محدداً حقبة زمنية تتكيف وإنجازات ذلك العظيم. مرجعية قائدة تأخذ بمسيرة هذا الشعب نحو الفعل والعمل والحضور الميداني. لقد ظن الكثيرون أن الزمن القاسي يمنع ولادة مرجعية قائدة في العراق بسبب القهر والظلم والقمع والإرهاب الذي لا يطاق، والذي قل نظيره في مكان آخر.

مرجع تحدى الزمن والسلطة والقوة وكل المعوقات التي يتذرع

---

(١) **نشرة النخيل**، العدد ٤٩ (شباط/ فبراير ٢٠٠٠).

بها القاعدون، فلبس كفنه وعزم على الشهادة. لم يرد أن تكون شهادته في أحد أقبية السجون التي ذاق مرارة تعذيبها ثلاث مرات، أراد أن تكون شهادته حدثاً مدوياً يوقظ النائم والمتقاعس والغافل، شهادة تتوِّج إنجازاته ومشروعه السياسي الكبير.

رجل ارتبط بالجماهير منذ أن خطط لمرجعية الميدان، نقل المرجعية من حالة الإفتاء إلى حالة القيادة التي هي الإطار الطبيعي لها. تخلص من الرواسب والأعراف التي خنقت المرجعية وقيدتها بقيود بحيث جعلتها لا تتجاوز همومها الذاتية، فانطلق بها نحو آفاق رحبة لتكون بحق امتداداً للنبوة والإمامة.

مرجعية انفتحت على الأمة المسلمة تشاركها همومها وآلامها، تستشعر مشاكلها الاجتماعية والفكرية والثقافية والاقتصادية، تخاطب وجدانها وتستنهض هممها للمشاركة معاً في بناء الوطن، بناء المجتمع الذي يحتاج إلى سواعد الجماهير وقيادة المرجعية.

تميّز الصدر الثاني بخطابه الجماهيري الواضح، علاقة وثيقة تجسدت أرقى صورها في صلاة الجمعة التي كانت منبراً للوعي والفكر والأخلاق والفقه. خطاب لم تعتدْ الأمة على سماعه من قبل، فهو أول مرجع في تاريخ العراق المعاصر يصعد المنبر أمام الجماهير المليونية، ويلقي خطبه التي تشق طريقها إلى عقولهم ونفوسهم، لتشكل تياراً إسلامياً عارماً، وحضوراً شعبياً فاعلاً في الساحة العراقية حين ظن البعض أن فشل الانتفاضة عسكرياً قد أضعف التيار الإسلامي كثيراً، وأنه لن تقوم له قائمة بعد. كلا، فقد أثبت الصدر الثاني أن الأمة ما زالت بخير، وأن الشعب العراقي ما زال يقظاً، أبياً، شجاعاً، متمسكاً بعقيدته. وأثبت أيضاً أن العمل لمواجهة السلطة يمكن أن يتخذ أشكالاً عديدة مهما تفرعنت السلطة الحاكمة، فالقائد المحنك والمؤمن بأهداف قضيته هو القادر على

تفجير طاقات الأمة ورصّ صفوفها حتى في أقسى الظروف وأحلك الفترات. إن القائد الحقيقي هو الذي يمنح الأمة الثقة بالنفس والشجاعة عبر مواقفه وخطابه، وهو الذي يتقدم الأمة لا أن الأمة تتقدمه، وهو الذي يسير في أول الركب كي لا يسبقه الركب.

مر عام على شهادة الصدر الثاني، ونحن نستعيد ذكراه بالألم والأسف. بالألم لما واجهه من حملات الظالمين له، حتى إننا لم نعرفه عن قرب إلا بعد أن شاهدنا أشرطة فيديو صلاة الجمعة، ورأينا تمسك الجماهير العراقية به، وإصرارها على حضور صلاة الجمعة، قبل بضعة أسابيع فقط من شهادته. وما كدنا نتفاعل مع خطه ومنهجه ومشروعه حتى اغتالته العصابة الحاكمة، فكان الأسف خير ما نعزّي به أنفسنا. لقد فقدت الحوزة العلمية في النجف الأشرف واحداً من أعاظم مراجعها في العصر الحديث، بعد فقدانها بالأمس المفكر الإسلامي العظيم السيد محمد باقر الصدر.

● لماذا نكرم علماءنا بعد رحيلهم[٢]؟

لماذا نكتشف مفكرينا ورجالنا وعلماءنا بعد غيابهم عن الوجود... بعد رحيلهم عن هذه الدنيا... بعد أن يلفّهم الموت في غيابة القبور... بعد أن نفقدهم... لنبدأ مرحلة البكاء عليهم... وعلى علمهم وبطولاتهم وتراثهم وأمجادهم؟؟؟

تتكرر الصورة، بنفس التفاصيل، اليوم مع السيد محمد الصدر، كما حدثت مع الشهيد الصدر، وستتكرر غداً مع آخرين سنكتشفهم بعد رحيلهم.

لقد تعرّض الشهيد الصدر لاتهامات كثيرة، وتشكيكات أكثر،

---

(٢) **نشرة النخيل**، العدد ٤٠ (نيسان/ أبريل ١٩٩٩).

ولم يؤثر ذلك في مسيرته. بقي يؤلف ويؤسس ويخطط ويكتب وينظّر، يتابع ويقود التحرك الإسلامي ضد الطاغوت. تعرّض للاعتقال عدة مرات، وبقي الآخرون يتفرجون على عذاباته. تعرض للإقامة الجبرية، ولم يزره أحد في منزله إلا السيد السبزواري (رحمه الله). وأعدم في سبيل العقيدة والوطن، ففرح بعضهم لأنه بإعدامه تخلصوا من منافس قوي على جميع الصُعُد، الفكرية والجماهيرية و«التقليدية».

واليوم ينعى الشهيد محمد الصدر أولئك الذين شككوا في مسيرته وخطه، رغم أن الرجل كان قد دخل مرحلة المواجهة المباشرة مع النظام قبل ستة أشهر من شهادته. ألم تكن تحركاته كافية لإثبات (حسن سلوكه)؟ ألم تكفِ شهادة ملايين العراقيين الذين يحضرون صلوات الجمعة في الكوفة وفي بقية مدن العراق على أن الرجل بريء مما ينسب إليه؟ ألم تكن هذه الجماهير التي ندّعي تمثيلها قادرة على تشخيص جهادية السيد وحقيقة موقفه الرافض للنظام الصدامي؟ هل كان المرجع الصدر بحاجة إلى شهادة الدم حتى يرضى عنه الآخرون، ويتأكدوا أنه مجاهد في سبيل الله، وأنه ضد السلطة لا معها كما كانوا يزعمون.

هل سنضيف إليه ظلامة أخرى بعد شهادته كما منحناه شهادة الظلامة في حياته؟ وهل نغتاله مرة أخرى كما اغتال بعضنا الشهيد السيد محمد باقر الصدر عدة مرات بعد شهادته عام ١٩٨٠؟

هل سيندم الذين ظلموه وحرّموا كتبه وأغلقوا مكتبه، واليوم ينعونه ويبكون عليه دون حياء؟ لماذا نتعامل بهذه الطريقة مع رجالنا وأبطالنا؟ لماذا بقي العالم الإسلامي لا يعرف الصدر إلا بعد وفاته؟ لماذا لم يكتب عنه أحد قبل شهادته؟ لماذا لم تقرأ المعارضة الإسلامية تطورات الأوضاع في العراق؟ لماذا لم نفهم التحولات

الأخيرة التي قادها الشهيد محمد الصدر إلا بعد اغتياله؟ لماذا لم يكتب أحد صلاة الجمعة أو ينقل لنا خطب الجمعة كما كانت تنقل لنا أخبار كثيرة؟ لماذا كانت أخبار النظام تصلنا أولاً بأول بينما أخبار تحرّك السيد محمد الصدر العلني يجري التعتيم عليه؟ لقد مضى على إقامة صلاة الجمعة أكثر من عام ولم يجرِ ذكرها ولو بخبر بسيط، أو التعليق عليها ولو بمقال قصير. هل ذلك غفلة أو إهمال أم ماذا؟

هل تعلّمنا الدرس ونتابع الواقع العراقي الداخلي عن قرب، كي لا نفاجأ بانتفاضة يتقدم فيها الشعب العراقي علينا بل يسبقنا، ونبقى مشغولين بالتحليل والتفسير والتنظير عن أسباب ذلك الحدث بعد وقوعه؟ هل فقدنا القدرة على متابعة الساحة العراقية في الداخل رغم الشواهد العديدة والمصاديق الكثيرة والدلالات الواضحة على سرعة حركة الشارع العراقي؟

وهل تتوقف حملة التشكيك ضد بقية العلماء المجاهدين المتصدّين أم نحتاج إلى شهادة دمائهم كي نتأكد من براءتهم وإيمانهم وجهادهم؟ هل نبقى نعيش حالة اللاوعي منتظرين حتى يوقظنا استشهاد مرجع آخر؟

المراجـع

١ ـ العربيـة

كتب

ابن النعمان، أبو عبد الله محمد بن محمد المعروف بالشيخ المفيد. **أوائل المقالات في المذاهب والمختارات**. تبريز، إيران: [د. ن.]، ١٩٥١.

الأسدي، مختار. **الصدر الثاني: الشاهد والشهيد**. قم: مؤسسة الأعراف، ١٩٩٩.

بطاطو، حنا. **العراق: الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية من العهد العثماني حتى قيام الجمهورية**. بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٩٠. ٣ ج.

البهادلي، علي أحمد. **الحوزة العلمية في النجف ومعالمها وحركتها الإصلاحية**. بيروت: دار الزهراء، ١٩٩٣.

البياتي، حامد. **شيعة العراق.. بين الطائفية والشبهات في الوثائق السرية البريطانية، ١٩٦٣ ـ ١٩٦٦**. لندن: مؤسسة الرافد، ١٩٩٧.

الحسني، سليم. **المعالم الجديدة للمرجعية الشيعية: دراسة وحوار مع السيد فضل الله**. قم: مؤسسة النشر الإسلامي، ١٩٩٣.

الحسيني، محمد. **الإمام الشهيد محمد باقر الصدر: دراسة في سيرته ومنهجه**. بيروت: دار الفرات، ١٩٨٩.

الحكيم، محمد تقي. **التشيع في ندوات القاهرة**. بيروت: مؤسسة الإمام علي، ١٩٩٩.

ـــــ. **قصة التقريب بين المذاهب**. طهران: مطبعة النجاح، ١٩٨٢.

الحكيم، محمد سعيد. **الأحكام الفقهية**. ط ٢. [د. م.: د. ن.]، ١٩٩٧.

حول الوحدة الإسلامية: أفكار ودراسات. طهران: منظمة الإعلام الإسلامي، ١٩٨٤.

الخميني، روح الله الموسوي. **تحرير الوسيلة**. قم: مطبعة اسماعيليان؛ النجف: مطبعة الآداب، ١٩٧٠.

الخوئي، أبو القاسم. **منهاج الصالحين**. ط ٢٢. بيروت: دار الزهراء، [د. ت.].

الرضوي، مرتضى. **في سبيل الوحدة الإسلامية**. القاهرة: مطبوعات النجاح، ١٩٨٠.

الرهيمي، عبد الحليم. **تأريخ الحركة الإسلامية في العراق: الجذور الفكرية والواقع التاريخي (١٩٠٠ ـ ١٩٢٤)**. بيروت: الدار العالمية للطباعة والنشر، ١٩٨٥.

رؤوف، عادل. **مرجعية الميدان**. دمشق: المركز العراقي للإعلام والدراسات، ١٩٩٩.

السامرائي، سعيد. **الطائفية في العراق: الواقع والحل**. لندن: مؤسسة الفجر، ١٩٩٣.

السيستاني، علي. **منهاج الصالحين**. ط ٤. الكويت: [د. ن.]، ١٩٩٦.

الشامي، حسين. **المرجعية الدينية: من الذات إلى المؤسسة**. لندن: دار الإسلام، ١٩٩٩.

شمس الدين، محمد مهدي. **في الاجتماع السياسي الإسلامي**. قم: دار الثقافة للطباعة والنشر، ١٩٩٤.

الصدر، محمد صادق. **الصراط القويم**. بيروت: دار الأضواء، ١٩٩٨.

ـــــ. **مجموعة خطب الجمعة**.

عبد الرزاق، جعفر. **الدستور والبرلمان في الفكر السياسي الشيعي، ١٩٠٥ ـ ١٩٢٠**. قم: [د. ن.]، ١٩٩٩. (سلسلة قضايا إسلامية معاصرة؛ ٢٢)

العلوي، حسن. **عبد الكريم قاسم: رؤية بعد العشرين**. لندن: دار الزوراء، ١٩٨٣.

ـــــ. **الشيعة والدولة القومية في العراق**. قم: دار الثقافة للطباعة والنشر، ١٩٩٠.

فضل الله، محمد حسين. **فقه الشريعة**. بيروت: دار الملاك، ١٩٩٩.

المحامي، محمد فريد بك. **تاريخ الدولة العلية العثمانية**. تحقيق إحسان حقي. بيروت: دار النفائس، ١٩٩٣.

محمد باقر الصدر: دراسات في حياته وفكره. لندن: دار الإسلام، ١٩٩٦.

مدني، جلال الدين. **تاريخ إيران السياسي المعاصر**. طهران: منظمة الإعلام الإسلامي، ١٩٩٣.

المؤمن، علي. **سنوات الجمر: مسيرة الحركة الإسلامية في العراق، ١٩٥٧ ـ ١٩٨٧**. لندن: دار المسيرة، ١٩٩٣.

النعماني، محمد رضا. **الشهيد الصدر: سنوات المحنة وأيام الحصار**. قم: مطبعة إسماعيليان، ١٩٩٧.

نقاش، اسحق. **شيعة العراق**. دمشق: منشورات دار المدى، ١٩٩٦.

الوردي، علي. **دراسة في طبيعة المجتمع العراقي: محاولة تمهيدية لدراسة المجتمع العربي الأكبر في ضوء علم الاجتماع الحديث**. قم: منشورات الشريف الرضي، ١٩٩٢.

ـــــ. **لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث**. لندن: دار كوفان للنشر، ١٩٩٢.

ج ١: **من بداية العهد العثماني حتى منتصف القرن التاسع عشر**.

ج ٢: **من سنة ١٨٣١ إلى سنة ١٨٧٢**.

ج ٣: **من عام ١٨٧٦ إلى عام ١٩١٤**.

ج ٤: **من عام ١٩١٤ إلى عام ١٩١٨**.

ج ٥: **حول ثورة العشرين**.

ج ٦: **من عام ١٩٢٠ إلى عام ١٩٢٤**.

دوريات

«حوار هام للشهيد الصدر الثاني قبل شهادته بأيام.» **نشرة الجمعة** (قم): العدد ٨ (كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٠.

الحياة: ٢٤/ ٢/ ١٩٩٩.

عبد الرزاق، جعفر. «العلماء المسلمون بين الفقه السياسي والعمل السياسي.» **الفكر الجديد**: العددان ١١ ـ ١٢، كانون الثاني/ يناير ١٩٩٦.

الموقف (دمشق): ٤/ ٣/ ١٩٩٩، و١٨/ ٣/ ١٩٩٩.

الناصري، محمد باقر. «الإمام الشهيد محمد باقر الصدر: رائد التغيير والإصلاح.» **الفكر الجديد**: العدد ٩، آب/ أغسطس ١٩٩٤.

نشرة الجمعة: العدد ١، حزيران/ يونيو ١٩٩٩؛ العدد ٥، تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٩٩؛ العدد ٦، تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٩٩.

نشرة فكر وثقافة (دمشق): العدد ١٤٣، أيلول/ سبتمبر ١٩٩٩.

نشرة المهاجر (الجمعية الإسلامية العراقية في ألمانيا): العدد ١٢، كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٠.

نشرة النخيل: العدد ٣٩، آذار/ مارس ١٩٩٩؛ العدد ٤٠، نيسان/ أبريل ١٩٩٩؛ العدد ٤١، أيار/ مايو ١٩٩٩؛ العدد ٤٦، تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٩٩؛ العدد ٤٩، شباط/ فبراير ٢٠٠٠، والعدد ٦٠، شباط/ فبراير ٢٠٠١.

الوسط: ١٨ نيسان/ أبريل ١٩٩٤.

٢ ـ الأجنبية

«The World Factbook 1999-Iraq.» <https://www.cia.gov/library/publications/the-world-factbook/geos/iz.html>.